٤٦١
ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، أُعيد فخر الدولة بن جَهِير إلى وزارة الخليفة، على ما ذكرناه، فلمّا عاد مدحه ابن الفضل فقال:

قد رجَعَ الحقُّ إلى نِصابِهِ، وأنتَ مِن كلّ الورَى أوْلَى بِهِ
ما كنتَ إلاّ السيفَ سلّتْه يدٌ، ثمّ أعادتْه إلى قِرابِهِ

وهي طويلة[١].

وفي شعبان احترق جامع دمشق. وكان سبب احتراقه أنّه وقع[٢] بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريّين والمشارقة، فضربوا داراً مجاورة للجامع بالنار، فاحترقت، واتّصلت بالجامع، (وكانت العامّة تعين المغاربة، فتركوا القتال واشتغلوا بإطفار النار من الجامع)[٣]، فعظُم الخَطْب واشتدّ الأمر، وأتى الحريق على الجامع، فدثرت محاسنه، وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة[٤].

---

(١) انظر بقيّتها في: المنتظم ٨/٢٥٣، ٢٥٤ (١٦/١١٢، ١١٣).
(٢) في (أ) زيادة: «للجامع».
(٣) من الباريسية.
(٤) تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ١٢/١٢، وتهذيبه ٥/٢٤، ومختصره لابن منظور ١٥/٢٥٩ رقم ٢٤٨، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ٩٦، وتاريخ دولة آل سلجوق ٣٧، ومرآة الزمان (في حاشية ذيل تاريخ دمشق) ٩٧، ٩٨، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٦، نهاية الأرب ٢٣/٢٣٨، العبر ٣/٢٤٧، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٥، دول الإسلام ١/٢٧٠، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٣، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٠، ٣٠١، تاريخ الخلفاء ٤٢١، شذرات الذهب ٣/٣٠٨، ٣٠٩، أخبار الدول ٢/٦٣.

٤٦٢

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أقبل ملك الروم من القُسطنطينيّة في عسكرٍ كثيف إلى الشام، ونزل على مدينة مَنْبِج ونهبها وقتل أهلها، وهزم محمود بن صالح بن مرداس، وبني كِلاب، وابن حسّان الطائيّ، ومن معهما من جموع العرب؛ ثمّ إنّ ملك الروم ارتحل وعاد إلى بلاده، ولم يُمكنه المقام لشدّة الجوع(١).

وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة إلى مدينة صور وحصرها، وكان قد تغلّب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عَقيل، فلمّا حصره أرسل القاضي إلى الأمير قَرْلُوا(٢)، مقدّم الأتراك المقيمين بالشام، يستنجده، فسار في اثني [عشر] ألف فارس، فحصر مدينة صيدا، وهي لأمير الجيوش بدر، فرحل حينئذٍ بدر، فعاد الأتراك، فعاود بدر حصر صور برّاً وبحراً سنةً، وضيّق على أهلها حتّى أكلوا الخبز كلّ رِطْلٍ بنصف دينار، ولم يبلغ غرضه فرحل عنها(٣).

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٧ (سويم) ١٥، المنتظم ٨/٢٥٦ (١٦/١١٦)، ذيل تاريخ دمشق ٩٨، تاريخ دولة آل سلجوق ٣٧، زبدة الحلب ٢/١٣، الدرّة المضيّة ٣٨٨، العبر ٣/٢٤٨، ٢٤٩، دول الإسلام ١/ ٢٧٠، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧، تاريخ ابن الوردي١/ ٣٧٣ (حوادث ٤٦١ هـ.)، مرآة الجنان ٣/ ٨٥، البداية والنهاية ١٢/ ٩٩، شذرات الذهب ٣٠/ ٣١٠.

(٢) في الباريسية: «مرلوا».

(٣) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٧ (سويم) ١٥، ذيل تاريخ دمشق ٩٨. أخبار مصر، لابن ميسّر ٢/ ٢٠، وفيه (صفد) بدل (صور) وهو غلط، الأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٥، مرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٢/ ورقة ١٢٣ ب، دول الإسلام ١/ ٢٧٠، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠٣، وفيه اسم القاضي «علي بن عبدالله»، والصحيح: «عبدالله بن علي». وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ص ١٢١، ١٢٢.

وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداذ في يد وكلاء الخليفة، وسبب ذلك أنّ البَهْرجَ كثُر في أيدي الناس على السكك[1] السلطانيّة، وضُرب اسم وليّ العهد على الدينار[2]، وسُمّي الأميريّ، ومُنع من التعامل بسواه.

وفيها ورد رسول صاحب مكّة محمّد بن أبي هاشم، ومعه ولده، إلى السلطان ألب أرسلان، يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكّة، وإسقاط خطبة العلويّ، صاحب مصر، وترك الأذان بحيّ على خير العمل، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار، وخِلعاً نفيسة، وأجرى له كلّ سنة عشرة آلاف دينار، وقال: إذا فعل أمير (المدينة مُهنّا)[3] كذلك، أعطيناه عشرين ألف دينار، وكلّ سنة خمسة آلاف دينار[4].

وفيها تزوّج عميد الدولة بن جُهير بابنة نظام الملك بالرَّيّ وعاد إلى بغداذ[5].

وفيها، في شهر رمضان، توفّي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض بأصبهان وهو عائد من عند السلطان إلى خوزستان، وكان قد علا أمره، وتزوّج بأخت السلطان، وبغى[6] على نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد، وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده، فلمّا مات سار دُبَيْس إلى السلطان، ومعه شرف الدولة مُسلم، صاحب الموصل، فخرج نظام المُلك فلقِيهما، وتزوّج شرف الدولة بأخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب، وعادا إلى بلادهما من هَمَذان[7].

وفيها كان بمصر غلاء شديد، ومجاعة عظيمة[8]، حتّى أكل الناس بعضهم

---

(١) في (أ): «السكة».

(٢) في (أ): «الدنانير».

(٣) في (أ): «بها».

(٤) تاريخ دولة آل سلجوق ٣٨، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٨، العبر ٣/ ٢٤٩، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧، ٨، مرآة الجنان ٣/ ٨٥، البداية والنهاية ١٢/ ٩٩، مآثر الإنافة ١/ ٣٤٧. تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٠، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠٤، تاريخ الخلفاء ٤٢١، شذرات الذهب ٣/ ٣١٠.

(٥) تاريخ دولة آل سلجوق ٣٧.

(٦) في الأوربية: «وبغا».

(٧) تاريخ دولة آل سلجوق ٣٨.

(٨) في الباريسية: «شديدة».

بعضاً، وفارقوا الديار المصريّة، فورد بغداذ منهم خلقٌ كثير هرباً من الجوع، وورد التجار، ومعهم ثياب صاحب مصر وآلاته، نُهبت من الجوع، وكان فيها أشياء كثيرة نُهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وممّا نُهب[1] أيضاً في فتنة البساسيريّ وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلّور كبار، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم، وأحد عشر ألف كُزَاغَند، وعشرون ألف سيف مُحَلًّى.

وقال ابنُ الفضل[2] يمدح القائم بأمر الله، ويذكر الحال بقصيدةٍ فيها:

قـد عَلِـمَ المِصـريُّ أنّ جُنـودَه[3] سنُو[4] يوسفٍ منها[5]، وطاعونُ عَمَوَاسِ
أقـامـتْ[6] بـه حتّـى استـرابَ بنفسِـهِ، وأوجَـسَ منـه[7] خِيفـةً أيَّ إيجـاسِ[8]

في أبيات:

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو الجوائز[9] الحسن بن عليّ بن محمّد الواسطيُّ، كان أديباً، شاعراً، حَسَن القول، فمن قوله:

واحَسْـرتـي[10] مِـن قـولِهـا: خـانَ عُهـودي ولَهَـا

---

(١) في (أ): «وفيها نهبت».

(٢) في أخبار الدول المنقطعة ٧٥ «ابن صُرَّبَعر».

(٣) في أخبار الدول المنقطعة: «بلاده».

(٤) في أخبار الدول المنقطعة: «سني».

(٥) في تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ٩ «فيها».

(٦) في أخبار الدول المنقطعة: «أحاطت».

(٧) في أخبار الدول المنقطعة: «منهم»، وفي تاريخ الإسلام «منها».

(٨) في أخبار الدول المنقطعة: «أنجاس» وهو غلط. والبيتان في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٩.

(٩) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٣، المنتظم ٨/ ٢٥٨، ٢٥٩ رقم ٣٠٧ (١٦/ ١١٩، ١٢٠ رقم ٣٤٠٢)، وفيات الأعيان ٢/ ١١١، ميزان الاعتدال ١/ ٣٣٨، فوات الوفيات ١/ ١٢٩، لسان الميزان ٢/ ٢٤٠، الأعلام ٢/ ٢٠٢.

(١٠) في المنتظم: «واحربا».

وحَـــقِّ مَـــن صيّـــرنـــي وَقفـــاً عليهـــا ولَهَـــا
مـــا خطَـــرَت بخـــاطـــري، إلاّ كَسَتْنـــي ولَهَـــا[1]

وتوفّي محمّد بن أحمد أبو غالب بن بِشْران[2] الواسطيُّ الأديب، وانتهت الرحلة إليه في الأدب، وله شعر، فمنه في الزهد:

يـــا شـــائـــداً للقصـــور كَهـــلاً أقصِـــرْ، فقَصْـــرُ الفَتـــى الممـــاتُ
لـــم يجتمـــع شَمـــلُ أهـــل قصـــرٍ، إلاّ قُصـــاراهـــمُ[3] الشّتَـــاتُ
وإنّمـــا العيـــشُ مثـــلُ ظـــلِّ، مُنتقـــلٍ مـــا لـــهُ ثَبـــاتُ[4]

وفيها توفّي القاضي أبو الحسين محمّد بن إبراهيم بن حَذْلَم[5]، قاضي دمشق؛ وأبو محمّد عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي العجائز[6]، الخطيب بدمشق.

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٥٨ (١٦/ ١٢٠).
(٢) انظر عن (ابن بشران) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧٠ ـ ٧٢ رقم ٥٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٣) في المنتظم: «وقصراهم».
(٤) المنتظم ٨/ ٢٥٩ (١٦/ ١٢٠).
(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٦٢ «حزم» وهو غلط، والتصحيح من: تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٣٦/ ٥٣٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢١/ ٣٤٣ رقم ٣٠٠، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧٢ رقم ٥٣.
(٦) انظر عن (ابن أبي العجائز) في: تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٢١/ ٢٤٠، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٢/ ٣٣٦، ٣٣٧ رقم ١٣، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٦٧ رقم ٤٥.

٤٦٣
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة

ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله، وللسلطان ألب أرسلان.

وسبب ذلك أنّه رأى إقبال دولة السلطان، وقوّتها، وانتشار دعوتها، فجمع أهل حلب وقال: هذه دولة جديدة، ومملكة شديدة، ونحن تحت الخُوف منهم، وهم يستحلّون دماءكم لأجل مذاهبكم، والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي[١] وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل. فأجاب المشايخ[٢] [إلى] ذلك، ولبس المؤذّنون السواد، وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان، فأخذت العامّة حُصْرَ الجامع، وقالوا: هذه حُصر عليّ بن أبي طالب، فليأتِ أبو بكر بِحُصرٍ يصلّي عليها بالناس.

وأرسل الخليفة إلى محمود الخِلَع مع نقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ، فلبسها[٣]، ومدحه ابن سِنان الخفاجيُّ، وأبو الفتيان بن حَيّوس.

وقال أبو عبدالله بن عطيّة يمدح القائم بأمر الله، ويذكر الخطبة بحلب ومكّة والمدينة:

كم طائعٍ لك لم تجلِبْ عليه، ولم ... تَعرِفْ لِطاعتِه غيرَ التُّقى سَبَبَا
هذا البشيرُ بإذعانِ الحجازِ، وذا ... داعي دمشقَ وذا المبعوثُ[٤] من حَلَبَا

---

(١) في (أ): «يأتينا».

(٢) في الأصل: «مشايخ».

(٣) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٧ (سويم) ١٥، زبدة الحلب ٢/ ١٦ ـ ١٨، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٨ و٢٦/ ٣١٢، العبر ٣/ ٢٥٠، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٠، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٣، مرآة الجنان ٣/ ٨٦، مآثر الإنافة ١/ ٣٤٧، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٠، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠٢ (حوادث ٤٦٢ هـ.) و٣٠٣، تاريخ الخلفا ٤٢١.

(٤) في (أ): «المنعوت».

ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب

في هذه السنة سار السلطان ألب أرسلان إلى حلب، وجعل طريقه على ديار بكر، فخرج إليه صاحبها، نصر بن مروان، وخدمه بمائة ألف دينار، وحمل إليه إقامة عرف السلطان أنّه قسّطها على البلاد، فأمر بردّها.

ووصل إلى آمِد فرآها ثغراً منيعاً، فتبرّك[1] به، وجعل يُمِرّ يده على السور ويمسح بها صدره.

وسار إلى الرُّها فحصرها، فلم يظفر منها بطائل، فسار إلى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طِراد بالرسالة القائمية، والخِلع، فقال له محمود، صاحب حلب: أسألك الخروج إلى السلطان، والاستعفاء[2] لي من الحضور عنده؛ فخرج نقيب النقباء، وأخبر السلطان بأنّه قد لبس الخِلع القائميّة وخطب فقال: أيّ شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذّنون: حيّ على خير العمل؟ ولا بدّ من الحضور، ودَوْس بساطي؛ فامتنع محمود من ذلك.

فاشتدّ الحصار على البلد، وغلت الأسعار، وعظُم القتال، وزحف السلطان يوماً وقرب من البلد، فوقع[3] حجر مِنجنيق في فرسه، فلمّا عظُم الأمر على محمود خرج ليلاً، ومعه والدته منيعة بنت وثّاب النُّميريّ، فدخلا على السلطان وقالت له: هذا ولدي، فافعل به ما تحبّ. فتلقّاهما بالجميل، وخلع على محمود وأعاده إلى بلده، فأنفذ إلى السلطان مالاً جزيلاً[4].

---

(١) في (أ): «فنزل».

(٢) في الأوربية: «واستعفاء».

(٣) في الأوربية: «فوقعت».

(٤) من (أ). والخبر في: تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٨، (سويم) ١٥، تاريخ الزمان ١٠٩، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٧، ١٨ و١٩ و٢٣ و٢٤، نهاية الأرب ٢٦/٣١٢، ٣١٣، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٨٧، الدرّة المضية ٣٩١، ٣٩٢، دول الإسلام ١/٢٧١، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٠، ١١، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٠، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٢.

ذكر خروج ملك الروم إلى خِلاط وأسره

في هذه السنة خرج أرمانوس ملك الروم في (مائتي ألف)[1] من الروم، والفرنج، والغرب، والروس، والبجناك[2]، والكُرج[3]، وغيرهم، من طوائف تلك البلاد، فجاؤوا في تجمّل كثير، وزِيّ عظيم، وقصد بلاد الإسلام، فوصل إلى ملازكرد[4] من أعمال خِلاط. فبلغ السلطانَ ألْب أرْسلان الخبر، وهو بمدينة خُوَيّ[5] من أَذَرْبِيجان، قد عاد من حلب، وسمع ما هو ملك الروم فيه من كثرة الجموع، فلم يتمكّن من جمع العساكر لبُعدها وقُرب العدوّ، فسيّر الأثقال مع زوجته ونظام المُلك إلى همذان، وسار هو فيمن عنده من العساكر، وهم خمسة عشر ألف فارس، وجدّ في السير، وقال لهم: إنّني أقاتل محتسباً صابراً، فإنْ سلِمتُ فنعمةٌ من الله تعالى، وإنْ كانت الشهادة فإنّ ابني ملكشاه وليّ عهدي؛ وساروا.

فلمّا قارب العدوّ جعل له مقدّمة، فصادفت مقدّمته، عند خِلاط، مقدّم الروسيّة في نحو عشرة آلاف من الروم، فاقتتلوا، فانهزمت الروسيّة، وأُسر مقدّمهم، وحُمل إلى السلطان، فجدع أنفه، وأنفذ بالسلب إلى نظام المُلك، وأمره أن يرسله إلى بغداذ، فلمّا تقارب العسكران أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المُهادنة، فقال: لا هدنة إلاّ بالرَّيّ؛ فانزعج السلطان لذلك، فقال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمّد بن عبد الملك البخاريُّ، الحنفيُّ: إنّك تقاتل عن دينٍ وَعَدَ اللهُ بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقَهم يوم الجُمعة، بعد الزوال، في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر، فإنّهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالإجابة.

---

(١) في الأوربية: «مائتين ألوف».

(٢) من (أ). وفي الباريسية: «البحماك»، وفي تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١١.

(٣) قال ابن العماد الحنبلي: «الكزج بالزاي والجيم». (شذرات الذهب ٣/ ٣١١).

(٤) في معجم البلدان ٥/ ٢٠٢: منازجرد: بعد الألف زاي ثم جيم مكسورة وراء ساكنة، ودال. وأهله يقولون: منا زكرد، بالكاف. بلد مشهور من خلاط وبلاد الروم، يُعدّ في أرمينية، وأهله أرمن الروم.

(٥) في الباريسية: «خونج». وهو بلفظ تصغير خوّ. (معجم البلدان ٢/ ٤٠٨).

فلمّا كانت تلك الساعة صلّى بهم، وبكى السلطان، فبكى الناس لبكائه، ودعا، ودعوا معه[1]، وقال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف، فما هاهنا سلطان يأمر ويَنهى؛ وألقى القوس والنُّشّاب، وأخذ السيف والدبّوس، وعقد ذَنَب فرسه بيده، وفعل عسكره مثله، ولبس البياض، وتحنّط، وقال: إن قُتلتُ فهذا كفني.

وزحف إلى الروم، وزحفوا إليه، فلمّا قاربهم ترجّل وعفّر وجهه على التراب، وبكى، وأكثر الدعاء، ثم ركب وحمل، وحملت العساكر معه، فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم، فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤوا، وأنزل الله نصره عليهم، فانهزم الروم، وقُتل منهم ما لا يُحصى، حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى، وأُسر ملك الروم، أسره بعض غلمان كوهرائين، أراد قتله ولم يعرفه، فقال له خادم[2] مع الملك: لا تقتله، فإنّه الملك.

وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام المُلك، فردّه استحقاراً له، فأثنى عليه كوهرائين، فقال نظام المُلك: عسى أن يأتينا بملك الروم أسيراً؛ فكان كذلك.

فلمّا أسر الغلام الملك أحضره عند كوهرائين، فقصد السلطان وأخبره بأسر الملك، فأمر بإحضاره، فلمّا أُحضر ضربه السلطان ألْب أرسلان ثلاث مقارع بيده وقال له: ألم أُرسل إليك في الهُدنة فأبيتَ؟ فقال: دعني من التوبيخ، وافعل ما تريد! فقال السلطان: ما عزمتَ أن تفعل بي إن أسرتَني؟ فقال: أفعل القبيح. قال له: فما تظنُّ أنّني أفعل بك؟ قال: إمّا أن تقتلني، وإمّا أن تشهّرني في بلاد الإسلام، والأخرى بعيدة، وهي العفو، وقبول الأموال، واصطناعي نائباً عنك. قال: ما عزمتُ على غير هذا.

ففداه بألف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار، وأن يرسل[3] إليه عساكر الروم أيّ وقت طلبها، وأن يطلق كلّ أسير في بلاد الروم، واستقرّ الأمر على ذلك، وأنزله في خيمة، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهّز بها، فأطلق له جماعة من البطارقة،

(١) في (أ): «له».
(٢) في (أ): «خدمة».
(٣) في (أ) وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ) ص ١٣ «ينفذ».

وخلع عليه (من الغد)[1]، فقال ملك الروم: أين جهة الخليفة؟ فدُلّ عليها، فقام وكشف رأسه وأومأ إلى الأرض بالخدمة، وهادنه السلطان خمسين سنة، وسيّره إلى بلاده، وسيّر معه عسكراً أوصلوه إلى مأمنه، وشيّعه السلطان فرسخاً[2].

وأمّا الروم فلمّا بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد، فلمّا وصل أرمانوس الملك إلى قلعة دُوقية بلغه الخبر، فلبس الصوف وأظهر الزهد، وأرسل إلى ميخائيل يعرّفه ما تقرّر مع السلطان، وقال: إن شئتَ أن تفعل ما استقرّ، وإن شئتَ أمسكت؛ فأجابه ميخائيل بإيثار ما استقرّ، وطلب وساطته، وسؤال السلطان في ذلك.

وجمع أرمانوس ما عنده من المال[3] فكان مائتَيْ ألف دينار، فأرسله إلى السلطان، وطبق ذهب عليه جواهر بتسعين ألف دينار[4]، وحلف له أنّه لا يقدر على غير ذلك؛ ثم إنّ أرمانوس استولى على أعمال الأرمن وبلادهم. ومدح الشعراء السلطان، وذكروا هذا الفتح، فأكثروا[5].

---

(١) من (أ).

(٢) علّق ابن العبري على هذا الخبر بقوله: «هكذا رأينا هذا الخبر في نسختين أحدهما عربية والثانية فارسية، غير أن البطريرك ميخائيل المغبوط ذكر عن ان أخت السلطان هو الذي قبض على الملك وأن رجلاً كردياً وثب فقتله وأوثق الملك كأنه هو الذي أحرز الغلبة، وأن السلطان لما سأل الملك: ما كانت نيّتك أن تصنع بي لو وقعت بيدك؟ وأن ديوجنيس قال له: كنت أحرقك بالنار، فعلى ما يظهر أن عبارة كهذه لا يعقل أن يقولها ملك لملك. زِد عليه أن رجلاً كردياً لا يتيسّر له أن يقتل ابن أخت السلطان ويخطف الملك من يده مدّعياً أنه هو الذي أوثقه، إذ كان هذا الكردي يخشى أقلّه أن يفضح الملك كذبه». (تاريخ الزمان ١١١، ١١٢).

(٣) في (أ): «الأموال».

(٤) من الباريسية.

(٥) انظر عن الموقعة في: تاريخ حلب للعظيمي (زعرور) ٣٤٨ (سويم) ١٥، والمنتظم ٨/ ٢٦٠ ـ ٢٦٥ (١٦/ ١٢٣ ـ ١٢٨)، وتاريخ الفارقي ١٨٦ـ ١٩٢، وتاريخ الزمان ١١٠ ـ ١١٢، وتاريخ مختصر الدول ١٨٥، ١٨٦، وتاريخ دولة آل سلجوق ٤٠ ـ ٤٤، وتاريخ گزيدة لحمدالله مستوفي القزويني ٤٣٣، ولب التواريخ للقزويني ١٠٦، والإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٠، وزبدة الحلب ٢/ ٢٧ ـ ٣٠، وبغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٧، و١٨ و١٩ و٢٥ و٢٦ و٣١، والأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٣٧٦، ٣٧٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٧، وراحة الصدور ١٨٨، ١٨٩، ومرآة الزمان ٨/ ١٤٢ ـ ١٤٨، والدرّة المضيّة ٣٩٠ و٣٩٢، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣١٣ ـ ٣١٥، وتاريخ الإسلام=

ذكر ملك أتسِز[1] الرملة وبيت المقدس

في هذه السنة قصد أتسِز بن أوق[2] الخُوَارزميُّ، وهو من أمراء السلطان ملكشاه، بلد الشام، فجمع الأتراك وسار إلى فِلَسْطِين، ففتح مدينة الرَّملة، وسار منها إلى البيت المقدّس وحصره، وفيه عساكر المصريّين، ففتحه، وملك ما يجاورهما من البلاد، ما عدا عَسْقَلان، وقصد دمشق فحصرها، وتابع النهب لأعمالها حتّى خرّبها، وقطع الميرة عنها، فضاق الأمر بالناس، فصبروا، ولم يمكّنوه من ملك البلد، فعاد عنه، وأدام[3] قصد أعماله وتخريبها حتّى قلّت الأقوات عندهم[4].

ذكر عدّة حوادث
[الوَفَيات]

في هذه السنة توفّي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمّد بن أحمد بن فُوْران[5] الفوارنيُّ، الفقيه الشافعيُّ، مصنّف كتاب «الإبانة» وغيره.

وفي هذه السنة، في ذي الحجّة، توفّي الخطيب[6] أبو بكر أحمد بن عليّ بن

= (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١١ ـ ١٤، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٦، وتاريخ الخلفاء ٤٢١، ٤٢٢، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٠، ١٠١ (في حوادث سنة ٤٦٢ هـ.)، وشذرات الذهب ٣/ ٣١١، والسلاجقة في التاريخ والحضارة ٢٤ ـ ٢٦.

(١) يرد في المصادر: «أتسز» و«أتسِيز» و«أطسِز»، و«أقسيس». انظر: المنتقى من أخبار مصر ٢٤٢، وتاريخ مختصر الدول ١٩٢.

(٢) في (أ): «أبق» وكذا في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٤.

(٣) في الباريسية: «أقام».

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٩٨، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٤/ ٢٠٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٧، العبر ٣/ ٢٥٢، دول الإسلام ١/ ٢٧٣، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٨٧.

(٥) انظر عن (ابن فوران) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٤٥ ـ ٤٧ رقم ١١ (في وفيات سنة ٤٦١ هـ.). وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (الخطيب البغدادي) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٨٥ ـ ١١٢ رقم ٦٤ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

ثابت البغداذيُّ، صاحب «التاريخ» والمصنّفات الكثيرة ببغداذ، وكان إمام الدنيا، في زمانه، وممّن حمل جنازته الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ.

وتوفّي أيضاً فيها، في شهر رمضان، أبو يعلى حمزة بن محمّد[١] بن الحسن[٢] بن حمزة الجعفريُّ، فقيه الإماميّة، وحسّان بن سعيد[٣] بن حسّان بن محمّد ابن عبدالله المنيعيُّ المخزوميُّ من أهل مرو الرُّوذ، كان كثير الصدقة والمعروف، والعبادة، والقنوع بالقليل من القوت، والإعراض عن زينة الدنيا وبهجتها، وكان السلاطين[٤] يزورونه ويتبرّكون به، وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر، وغير ذلك من مصالح المسلمين.

وتُوُفّيت أيضاً كريمة[٥] بنت أحمد بن محمّد المَرْوَزِيّة، وهي التي تروي «صحيح البخاريّ»، تُوُفّيت بمكّة، وإليها انتهى عُلُوّ الإسناد للصحيح إلى أن جاء أبو الوقت.

---

(١) في طبعة صادر ٦٨/١٠ «أبو يعلى محمد»، والمستدرك من مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٦٦، ١٦٧ رقم ١٣٣ (وفيات ٤٦٥ هـ.).

(٢) في طبعة صادر ٦٨/١٠ «الحسين»، والمثبت من الباريسية، ومن المسند لعبد الوهاب الكلابي (ملحق بمناقب أمير المؤمنين علي، لابن المغازلي) ص ٢٦٧ وفيه: أبو طالب حمزة بن محمد بن عبدالله بن محمد بن حسن».

(٣) في (أ): «سعد». والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١١٦ ـ ١١٩ رقم ٦٩.

(٤) في (أ): «يقصدونه و».

(٥) انظر عن (كريمة) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٢٥، ١٢٦ رقم ٨٤ وفيه حشدت مصادر ترجمتها.

٤٦٤
ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شِحنكيّة بغداذ

في ربيع الأوّل من هذه السنة ورد إيتكين السليمانيُّ شِحنة بغداذ من عند السلطان، إلى بغداذ، فقصد دار الخلافة، وسأل العفو عنه، وأقام أيّاماً، فلم يُجَبْ إلى ذلك.

وكان سبب غضب الخليفة عليه أنّه كان قد استخلف ابنَهُ عند مسيره إلى السلطان، وجعله شِحنةً ببغداذ، فقتل أحد المماليك الداريّة، فأنفذ قميصه من الديوان إلى السلطان، ووقع الخطاب في عزله.

وكان نظام المُلك يُعنَى بالسليمانيّ، فأضاف إلى إقطاعه تكريت، فكوتب واليها، من ديوان الخلافة، بالتوقّف عن تسليمها. فلمّا رأى نظام المُلك والسلطان إصرار الخليفة على الإستقالة من ولايته شِحنكيّة بغداذ، سيّر سعد الدولة كوهرائين إلى بغداذ شِحنةً، وعزل السليمانيَّ عنها، اتّباعاً لما أمر به الخليفة القائم بأمر الله، ولمّا ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقّيه، وجلس له الخليفة[1].

ذكر تزويج وليّ العهد بابنة السلطان

في هذه السنة أرسل الإمام القائم بأمر الله عميدَ الدولة بن جَهِير، ومعه الخِلع للسلطان ولولده ملكشاه؛ وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة أن يأذنَ في أن يجعل ولده ملكشاه وليَّ عهده، فأذِن، وسُيّرت له الخِلع مع عميد الدولة، وأمر عميد الدولة أن يخطب ابنة السلطان ألب أرسلان من سفري خاتون لوليّ العهد المقتدي بأمر الله، فلمّا حضر عند السلطان خطب ابنته، فأُجيب إلى ذلك.

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ٤٥.

وعقد النكاح بظاهر نَيسابور، وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح، ونظام المُلك الوكيل من جهة السلطان في العقد، وكان النثار جواهر، وعاد عميد الدولة من عند السلطان إلى[1] ملكشاه، وكان ببلاد فارس، فلقيه بأصبهان، فأفاض عليه الخِلع، فلبسها وسار إلى والده، وعاد عميد الدولة إلى بغداذ، فدخلها في ذي الحجّة[2].

ذكر ولاية أبي الحسن بن عمّار طرابلس

في هذه السنة، في رجب، توفّي القاضي أبو طالب بن عمّار، قاضي طرابلس، وكان قد استولى عليها، واستبدّ بالأمر فيها، فلمّا توفّي قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمّار، فضبط البلد أحسن ضبطٍ، ولم يظهر لفقد عمّه أثر لكفايته[3].

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس

في هذه السنة سيّر السلطان ألْب أرسلان وزيرَهُ نظام المُلك في عسكر إلى بلاد فارس، وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل، وفيه صاحبه فضلون، وهو لا يُعطي الطاعة، فنازله وحصره، ودعاه إلى طاعة السلطان فامتنع، فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضاً لعلوّ الحصن وارتفاعه، فلم يطُل مقامهم عليه حتّى نادى أهل القلعة بطلب الأمان ليسلّموا الحصن إليه، فعجب الناس من ذلك.

وكان السبب فيه أنّ جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة، فقادتهم ضرورة العطش إلى التسليم، فلمّا طلبوا الأمان أمّنهم نظام المُلك، وتسلّم

---

(١) في (أ) زيادة: «السلطان».

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ٤٥، ٤٦.

(٣) زبدة الحلب ٢/ ٣٥، الأعلاق الخطيرة ج ١ ق ٢/ ١٠٧، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٨، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠) ص ١٥، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٥، مآثر الإنافة ١/ ٣٤٥، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠٧، النجوم الزاهرة ٥/ ٨٩، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري (طبعة ثانية) ج ١/ ٣٧٩ ـ ٤٢٩ و٤٥٩ ـ ٤٦١، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٥٥ ـ ١٦٧.

الحصن، والتجأ فضلون إلى قُلّة القلعة، وهي أعلى موضع فيها، وفيه بناء مرتفع، فاحتمى فيها، فسيّر نظام المُلك طائفة من العسكر إلى الموضع الذي فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم إليه وينهبوا مالهم، فسمع فضلون الخبر، ففارق موضعه مستخفياً فيمن عنده من الجُنْد، وسار ليمنع عن أهله، فاستقبلته طلائع نظام المُلك، فخافهم، فتفرّق مَن معه، واختفى في نبات الأرض، فوقع فيه بعض العسكر، فأخذه أسيراً، وحمله إلى نظام المُلْك، فأخذه[1] وسار به إلى السلطان فأمّنه وأطلقه[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي القاضي أبو الحسن[3] محمّد بن أحمد بن عبد الصّمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور، وكان قد أضرّ، ومولده سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائة، وكان إليه قضاء واسط، وخليفته عليها أبو محمّد بن السّمان[4].

---

(١) من (أ).

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣١٧، ٣١٨، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٥.

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٧٢ «الحسين». والتصحيح من: تاريخ بغداد ٢/٣٥٦ رقم ٢٨٧، والمنتظم ٨/ ٢٧٤، ٢٧٥ رقم ٣٢١ (١٦/ ١٤١، ١٤٢ رقم ٣٤١٦)، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٥٥ رقم ١١٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٠.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٧٢ «السمال».

٤٦٥

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

ذكر قتل السلطان ألب أرسلان

في أوّل هذه السنة قصد السلطان ألْب أرسلان، واسمه محمّد، وإنّما غلب عليه ألْب أرسلان ما وراء النهر، وصاحبه شمس المُلك تكين، فعقد على جَيحون جسراً وعبر عليه في نيّف وعشرين يوماً، وعسكره يزيد على مائتَيْ ألف فارس، فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يُعرف بيوسف الخوارِزميّ، في سادس شهر ربيع الأوّل، وحُمل إلى قرب سريره مع غلامَيْن، فتقدّم أن تُضرب له أربعة أوتاد وتُشدّ أطرافه إليها، فقال له يوسف: يا مخنّث! مثلي يُقتل هذه القتلة؟ فغضب السلطان ألب أرسلان، وأخذ القوس والنشّاب، وقال للغلامَيْن: خلّياه! ورماه السلطان بسهم فأخطأه، ولم يكن يخطىء سهمه، فوثب يوسف يريده، والسلطان على سُدّة، فلمّا رأى يوسف يقصده قام عن السُّدّة ونزل عنها، فعثر، فوقع على وجهه، فبرك عليه يوسف وضربه بسكّين كانت معه في خاصرته، وكان سعد الدولة واقفاً، فجرحه يوسف أيضاً جراحات، ونهض السلطان فدخل إلى خيمة أخرى، وضرب بعض الفرّاشين يوسفَ بمرزبّة على رأسه، فقتله وقطّعه الأتراك.

وكان أهل سمرقند لمّا بلغهم عبور السلطان النهر، وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيّما بخارى، اجتمعوا، وختموا ختماتٍ[1]، وسألوا الله أن يكفيهم أمره، فاستجاب لهم.

ولمّا جُرح السلطان قال: ما من وجهٍ قصدتُه، وعدوّ أردتُه، إلا استعنتُ بالله عليه، ولما كان أمسِ صعِدتُ على تلّ، فارتجّت الأرض تحتي من عِظَم الجيش وكثرة العسكر، فقلتُ في نفسي: أنا ملك الدنيا، وما يقدر أحدٌ عليّ،

---

(١) في الباريسية: «ختماتان».

فعجزني[1] الله تعالى بأضعف خلقه، وأنا أستغفر الله تعالى، وأستقيله من ذلك الخاطر. فتوفّي عاشر ربيع الأوّل من السنة، فحُمل إلى مرو ودُفن عند أبيه.

ومولده سنة أربعٍ وعشرين وأربعمائة، وبلغ من العمر أربعين سنة وشهوراً، وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة، وكانت مدّة ملكه منذ خُطب له بالسلطنة إلى أن قُتل تسع سنين وستّة أشهر وأيّاماً، ولمّا وصل خبر موته إلى بغداذ جلس الوزير فخر الدولة بن جَهِير للعزاء به في صحن السلام[2].

ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته

هو ألب أرسلان محمّد بن داود جُغري بك بن ميكائيل بن سلجوق، وكان كريماً، عادلاً، عاقلاً، لا يسمع السعايات، واتّسع ملكه جدّاً[3]، ودان له العالم، وبحقّ قيل له سلطان العالم.

وكان رحيم القلب رفيقاً بالفقراء، كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه.

اجتاز يوماً بمرو على فقراء الخرائين[4]، فبكى، وسأل الله تعالى أن يغنيه من فضله.

وكان يكثر الصدقة، فيتصدّق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار[5]، وكان في ديوانه أسماء خلْقٍ كثير من الفقراء في جميع ممالكه، عليهم الإدرارات والصلات، ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة، قد قنع من الرعايا بالخراج الأصليّ يؤخذ منهم كلّ سنة دفعتَيْن رفقاً بهم.

وكتب إليه بعض السُّعاة سعايةً في نظام المُلك وزيره، وذكر ما له في ممالكه من الرسوم والأموال، وتُركتْ على مصلاّه، فأخذها فقرأها، ثم سلّمها إلى نظام الملك

---

(١) في الأوربية: «فعجز بي».

(٢) انظر عن مقتل ألب أرسلان في المصادر الكثيرة التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧.

(٣) في (أ): «جيداً».

(٤) في الباريسية: «الحدائين»، وفي نسخة بودليان: «الخزايين».

(٥) زبدة التواريخ ٢٧، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ٣٥.

وقال له: خذ هذا الكتاب، فإنْ صدقوا في الذي كتبوه فهذّبْ أخلاقك، وأصلح أحوالك، وإنْ كذبوا فاغفر لهم زلّتهم واشغلهم[1] بمهمّ يشتغلون به عن السعاية بالناس[2].

وهذه حالة لا يُذكر عن أحد من الملوك أحسن منها.

وكان كثيراً ما يُقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم، وأحكام الشريعة، ولمّا اشتهر بين الملوك حُسن سيرته، ومحافظته على عهوده، أذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع، وحضروا عنده من أقاصي ما وراء النهر إلى أقصى الشام.

وكان شديد العناية بكفّ الجُند عن أموال الرعيّة؛ بلغه أنّ بعض خواصّ مماليكه سلب من بعض الرستاقيّة إزاراً، فأخذ المملوك وصلبه، فارتدع الناس عن التعرّض إلى مال غيرهم.

ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب أكثر من هذا القدر منها.

وخلّف ألْب أرسلان من الأولاد: ملكشاه، وهو صار السلطان بعده، وإياز، وتكش، وبوري برش[3]، وتُتش[4]، وأرسلان أرغو[5]، وسارة، وعائشة، وبنتاً أخرى[6].

ذكر ملك السلطان ملكشاه

لمّا جُرح السلطان ألْب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه، وكان معه، وأمر أن يحلف له العسكر، فحلفوا جميعهم، وكان المتولّي للأمر في ذلك نظام الملك، وأرسل ملكشاه إلى بغداذ يطلب الخطبة له، فخُطب له على منابرها، وأوصى ألْب

---

(١) من (أ).
(٢) زبدة التواريخ ٧٧، بغية الطلب ٣٥.
(٣) في الباريسية ونسخة بودليان: «برس»، وكذا في تاريخ دولة آل سلجوق ٤٩.
(٤) من (أ).
(٥) في تاريخ دولة آل سلجوق «أرغون».
(٦) انظر عن (ألب أرسلان) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٦٠ ـ ١٦٤ رقم ١٢٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

أرسلان ابنَهُ ملكشاه أيضاً أن يعطي أخاه قاورت[1] بك بن داود أعمال فارس وكَرمان، وشيئاً عيّنه من المال، وأن يُزَوّج[2] بزوجته؛ وكان قاورت بك بكَرمان، وأوصى أن يعطى ابنه إياز[3] بن ألْب أرسلان ما كان لأبيه داود، وهو خمسمائة ألف دينار، وقال: كلّ من لم يرض بما أوصيتُ له فقاتلوه، واستعينوا بما جعلته له على حربه.

وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر، فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيّف وعشرين يوماً في ثلاثة أيّام، وقام بوزارة ملكشاه نظام المُلك، وزاد الأجناد في معايشهم سبع مائة ألف[4] دينار، وعادوا إلى خُراسان، وقصدوا نَيسابور؛ وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الأطراف يدعوهم إلى الخطبة له والانقياد إليه، وأقام إياز أرسلان ببَلْخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نَيسابور إلى الرَّيّ.

ذكر ملك صاحب سَمَرْقَنْد مدينة تِرمِذ

في هذه السنة، في ربيع الآخر، ملك ألْتَكِين صاحب سَمَرْقَنْد مدينة تِرمِذ.

وسبب ذلك أنّه لمّا بلغه وفاة ألْب أرسلان، وعَوْد ابنه ملكشاه عن خُراسان، طمع في البلاد المجاورة له، فقصد تِرمِذ أوّل ربيع الآخر، وفتحها، ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها إلى سَمَرقند.

وكان إياز[5] بن ألب أرسلان قد سار عن بَلخ إلى الجُوزَجَان[6]، فخاف أهل بَلخ، فأرسلوا إلى ألتِكِين يطلبون منه الأمان، فأمّنهم، فخطبوا له فيها، وورد إليها، فنهب عسكره شيئاً من أموال الناس، وعاد إلى تِرمِذ، فثار أوباش بَلْخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم، فعاد إليهم وأمر بإحراق المدينة، فخرج إليه أعيان أهلها وسألوه

---

(1) هكذا في طبعة صادر، وطبعة دار الكتاب العربي، وبغية الطلب (تراجم السلاجقة) ص ٢٠، وفي: تاريخ الزمان ١١٣ «قاروت»، وكذا في تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧، وفي تاريخ دولة آل سلجوق ٤٨، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٢١ «قاورد».

(2) في (أ): «يتزوج»، وفي الطبعة الأوربية: «زُوِّج».

(3) في (أ): «إياس».

(4) من (أ).

(5) في الباريسية: «إياز»، وفي الهامش: «إلياس»، وكذا في (أ) ونسخة بودليان.

(6) في (أ): «الخوزجان».

الصفح، واعتذروا، فعفا عنهم، لكنّه أخذ أموال التجّار فغنم شيئاً عظيماً.

فلمّا وصل الخبر إلى إياز[1] عاد من الجُوزَجان[2] إلى بلْخ، فوصل غرّة[3] جُمادى الأولى، فأطاعه أهلُها، وسار عنها إلى تِرمِذ في عشرة آلاف فارس في الثالث والعشرين من جُمادى الآخرة، فلقِيهم عسكر ألتِكِين، فانهزم إياز[4]، فغرق من عسكره في جَيحون أكثرهم، وقُتل كثير[5] منهم، ولم ينج إلاّ القليل.

ذكر قصد صاحب غزنة سَكْلَكَنْد

وفي هذه السنة أيضاً، في جمادى الأولى، وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة إلى سَكْلَكَنْدَ، وبها عثمان عمّ السلطان ملكشاه، ويلقّب بأمير الأمراء، فأخذوه أسيراً، وعادوا به إلى غَزنة مع خزائنه وحَشَمه، فسمع الأمير كُمُشْتِكِين بلكابك، وهو من أكابر الأمراء، فتبع آثارهم، وكان معه أنوشتِكِين جدّ ملوك خُوارزم في زماننا، فنهبوا مدينة سَكْلَكَنْدَ.

ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمّه قاورت بك

لمّا بلغ قاورت بك، وهو بكَرمان، وفاة أخيه ألْب أرسلان سار طالباً للرَّيّ يريد الاستيلاء على الممالك، فسبقه إليها السطان ملكشاه ونظام المُلك، وسارا (منها إليه)[6]، فالتقوا بالقرب من هَمَذان في[7] شعبان، وكان العسكر يميلون إلى قاورت بك، فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه، فهزموها، وحمل شرف الدولة مسلم بن قُريش، وبهاء الدولة منصور بن دُبَيْس بن مَزْيد، وهما مع ملكشاه، ومن معهما من العرب والأكراد، على ميمنة قاورت بك فهزموها، وتمّت الهزيمة على

---

(١) في الأصل: «إلياس» وهو غلط.

(٢) في (أ): «الخوزجان».

(٣) في (أ): «إلى غزنة».

(٤) في الأصل: «إلياس».

(٥) من (أ).

(٦) في الباريسية: «فيها».

(٧) في (أ): «رابع».

أصحاب قاورت بك، ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه إلى حِلَل شرف الدولة، وبهاء الدولة، فنهبوها غيظاً منهم، حيث هزموا عسكر قاورت بك، ونهبوا أيضاً ما كان لنقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ رسول الخليفة[1].

وجاء رجل سواديّ إلى السلطان ملكشاه، فأخبره أنّ عمّه قاورت بك في بعض القُرى، فأرسل مَنْ أخذه وأحضره، فأمر سعد الدولة كوهرائين فخنقه، وأقرّ كرمان بيد أولاده، وسيّر إليهم الخِلع، وأقطع العرب والأكراد إقطاعات[2] كثيرة لِما فعلوه في الوقعة.

وكان السبب في حضور شرف الدولة، وبهاء الدولة، عند ملكشاه، أنّ السلطان ألْب أرسلان كان ساخطاً على شرف الدولة، فأرسل الخليفة نقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيَّ إلى شرف الدولة بالموصل، فأخذه وسار به إلى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة، فلمّا بلغ الزاب وقف على ملطّفاتٍ كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب، فأخذه شرف الدولة فغرّقه، وسار مع طِراد، فبلغهما الخبر بوفاة ألْب أرسلان، ومسير ابنه ملكشاه، فتمّما إليه.

وأمّا بهاء الدولة فإنّه كان قد سار بمالٍ أرسله به أبوه إلى السلطان، فحضر الحرب[3] بهذا السبب.

ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك

ثم إنّ عسكر ملكشاه بسطوا[4] ومدّوا أيديهم في أموال الرعيّة، وقالوا: ما يمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلاّ نظام المُلك، فنال الرعيّة أذًى شديدٌ، فذكر ذلك نظام المُلك للسلطان، فبيّن له ما في هذا الفعل من الوهن، وخراب البلاد، وذهاب السياسة، فقال له: افعلْ في هذا ما تراه مصلحة! فقال له نظام المُلك: ما يمكنني أن أفعل إلاّ بأمرك.

---

(١) انظر: زبدة التواريخ ١٢٢، ١٢٣، والمنتظم ٨/ ٢٧٧ (١٦/ ١٤٥، ١٤٦)، وتاريخ دولة آل سلجوق ٥٠، ومرآة الزمان ٨/ ١٦١.

(٢) في الأوربية: «إقطعات».

(٣) من (أ).

(٤) في (أ): «تبسطوا».

فقال السلطان: قد رددتُ الأمور كلّها كبيرها وصغيرها إليك، فأنت الوالد؛ وحلف له، وأقطعه إقطاعاً زائداً على ما كان، من جملته طُوس مدينة نظام المُلك، وخلع عليه، ولقّبه ألقاباً من جملتها: أتابَك، ومعناه الأمير الوالد، فظهر من كفايته، وشجاعته، وحُسن سيرته ما هو مشهور، فمن ذلك أنّ امرأة ضعيفة استغاثت به، فوقف يكلّمها وتكلّمه، فدفعها[1] بعض حجّابه، فأنكر ذلك عليه وقال: إنّما استخدمتُك لأمثال هذه، فإنّ الأمراء والأعيان لا حاجة بهم إليك؛ ثم صرفه عن حجابته[2].

ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان

في هذه السنة قُتل ناصر الدولة أبو عليّ الحسن[3] بن حمدان، وهو من أولاد[4] ناصر الدولة بن حمدان، بمصر، وكان قد تقدّم فيها تقدّماً عظيماً.

ونذكر هاهنا الأسباب الموجبة لقتله، فإنّها تتبع بعضها بعضاً، وفي حروب وتجارب، وكان أوّل ذلك انحلال أمر الخلافة، وفساد أحوال المستنصر بالله العلويّ، صاحبها، وسببه أنّ والدته كانت غالبةً على أمره، وقد اصطنعتْ أبا سعيد إبراهيم التُّستَرِيَّ[5] اليهوديَّ، وصار وزيراً لها، فأشار عليها بوزارة أبي نصر الفلاحيّ، فولّته الوزارة، واتّفقا مدّةً، ثم صار الفلاحيُّ ينفرد بالتدبير، فوقع بينهما وحشة، فخافه الفلاحيُّ أن يُفسد أمرَه مع أمّ المستنصر، فاصطنع الغلمان الأتراك، واستمالهم، وزاد في أرزاقهم، فلمّا وثق بهم وضعهم على قتل اليهوديّ، فقتلوه، فعظُم الأمر على أمّ المستنصر، وأغرت به ولدها، فقبض عليه، وأرسلت من قتله تلك الليلة، وكان بينهما في القتل تسعة أشهر.

ووزَر بعده أبو البركات حسن بن محمّد، فوضعه على الغلمان الأتراك فأفسد

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ٨٠ «فدفعه».

(٢) في الأوربية: «حجبته». والخبر في: المنتظم ٨/ ٢٧٨ (١٦/ ١٤٦).

(٣) في (أ): «الحسين»، والمثبت في نهاية الأرب ٢٨/ ٢٢٦، واتعاظ الحنفا ٢/ ٢٧٣.

(٤) في (أ): «أحفاد».

(٥) في الباريسية: «المشري».

أحوالهم، وشرع يشتري العبيد للمستنصر، واستكثر منهم، فوضعته أمّ المستنصر ليُغْري العبيد المجرّدين[1] بالأتراك، فخاف عاقبة ذلك، وعلم أنّه يورث شرّاً وفساداً، فلم يفعل، فتنكّرت له، وعزلته عن الوزارة.

ووليَ بعده الوزارة أبو محمّد اليازوريُّ من قرية من قُرى الرملة اسمُها يازور، فأمرته أيضاً بذلك، فلم يفعل، وأصلح الأمور إلى أن قُتل.

ووزر بعده أبو عبدالله الحسين بن البابليّ، فأمرته بما أمرتْ به غيره من الوزراء من إغراء العبيد بالأتراك، ففعل، فتغيّرتْ نيّاتهم.

ثم إنّ المستنصر ركب ليشيّع الحجّاج، فأجرى بعض الأتراك فرسه، فوصل به إلى جماعة العبيد المحدَثين، وكانوا يحيطون بالمستنصر، فضربه أحدهم فجرحه، فعظُم ذلك على الأتراك ونشبت بينهم الحرب، ثمّ اصطلحوا على تسليم الجارح[2] إليهم، واستحكمت العداوة، فقال الوزير للعبيد: خذوا حِذْركم؛ فاجتمعوا في محلّتهم.

وعرف الأتراك ذلك، فاجتمعوا إلى مقدّميهم، وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان، وهو أكبر قائد بمصر، وشكوا إليه، واستمالوا المصامدة، وكُتامة، وتعاهدوا، وتعاقدوا، فقوي الأتراك، وضعُف العبيد المحدَثون، فخرجوا من القاهرة إلى الصّعيد ليجتمعوا هناك، فانضاف إليهم خلْقٌ كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل، فخاف الأتراك وشكوا إلى المستنصر، فأعاد الجواب أنّه لا عِلم له بما فعل العبيد، وأنّه لا حقيقة له، فظنّوا قوله حيلة عليهم.

ثم قوي الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم، فأجفل الأتراك، وكُتامة، والمصامدة[3]، وكانت عدّتهم ستّة آلاف، فالتقوا بموضع يُعرف بكَوْمِ الريشِ، واقتتلوا، فانهزم الأتراك ومن معهم إلى القاهرة، وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس، فلمّا انهزم الأتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم، وحملوا عليهم

(١) من (أ).
(٢) في (أ): «الخارج».
(٣) من (أ).

حملة منكرة، وضربت البوقات، فارتاع العبيد، وظنّوها مكيدةً من المستنصر، وأنّه قد ركب في باقي العسكر، فانهزموا، وعاد عليهم الأتراك وحكّموا فيهم السيوف، فقتل منهم وغرق[1] نحو أربعين ألفاً وكان يوماً مشهوداً.

وقويت نفوس الأتراك، وعرفوا حُسن رأي المستنصر فيهم، وتجمّعوا، وحشدوا، فتضاعفت عدّتهم، وزادت واجباتهم للإنفاق فيهم، فخلت الخزائن، واضطربت الأمور، وتجمّع باقي العسكر من الشام وغيره إلى الصّعيد، فاجتمعوا مع العبيد، فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل، وساروا إلى الجِيزة، فخرج عليهم الأتراك ومن معهم، واقتتلوا في الماء عدّة أيّام، ثم عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة بن حمدان، فاقتتلوا، فانهزم العبيد إلى الصّعيد، وعاد ناصر الدولة والأتراك منصورين.

ثم إنّ العبيد اجتمعوا بالصّعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل، فقلق الأتراك لذلك، فحضر مقدّموهم دار المستنصر لشكوى حالهم، فأمرتْ أمّ المستنصر مَنْ عندها من العبيد بالهجوم[2] على المقدّمين والفتك بهم، ففعلوا ذلك، وسمع ناصر الدولة[3] الخبر، فهرب إلى ظاهر البلد، واجتمع الأتراك إليه، ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد، ومن تبِعهم من مصر، والقاهرة، وحلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنّه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاماً، حتّى ينفصل الحال بينهم، فبقيت الحرب ثلاثة أيّام، ثم ظفر بهم ناصر الدولة، وأكثر القتل فيهم، ومن سلِم هرب، وزالت دولتهم من القاهرة.

وكان بالإسكندريّة جماعة كثيرة من العبيد، فلمّا كانت هذه الحادثة طلبوا الأمان، فأُمّنوا[4] وأُخذت منهم الإسكندريّة، وبقي العبيد الذين بالصّعيد[5].

---

(١) في الباريسية: «وعرض».

(٢) في الباريسية: «بالحرم».

(٣) ساقطة من (أ).

(٤) في الأوربية: «فأومنوا».

(٥) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ١٣، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٢٧ (سنة ٤٥٩ هـ.)، العبر ٣/ ٢٥٧، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٨، ١٩، دول الإسلام ١/ ٢٧٥، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٦، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٧٣ و٢٧٥ (سنة ٤٥٩ و٤٦٠ هـ.).

فلمّا خلت الدولة للأتراك طمعوا في المستنصر، وقلّ ناموسه عندهم، وطلبوا الأموال، فخلت الخزائن، فلم يبق فيها شيء البتّة، واختلّ ارتفاع الأعمال، وهم يطالبون، واعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده، فطلب ناصر الدولة العُرُوض، فأُخرجت إليهم، وقُوّمت بالثمن البخْس، وصُرفت إلى الجُند؛ قيل إنّ واجب الأتراك كان في الشهر عشرين ألف دينار، فصار الآن في الشهر أربعمائة ألف دينار[1].

وأمّا العبيد بالصّعيد فإنّهم أفسدوا، وقطعوا الطريق، وأخافوا السبيل، فسار إليهم ناصر الدولة في عسكرٍ كثير، فمضى العبيد من بين يدَيْه إلى الصعيد الأعلى، فأدركهم، فقاتلهم، وقاتلوه، فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد إلى الجيزة[2] بمصر، واجتمع إليه مَن سلم من أصحابه، وشغبوا على المستنصر، واتّهموه بتقوية العبيد والميل إليهم. ثم جهّزوا جيشاً وسيّروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد، وقاتلوهم، فقُتلت تلك الطائفة من العبيد، فوهن الباقون، وزالت دولتهم.

وعظُم أمر ناصر الدولة، وقويت شوكته، وتفرّد بالأمر دون الأتراك، فامتنعوا من ذلك، وعظُم عليهم، وفسدت نيّاتهم له، فشكوا ذلك إلى الوزير، وقالوا: كلّما خرج من الخليفة مالٌ أخذ أكثره له ولحاشيته، ولا يصل إلينا منه إلاّ القليل. فقال الوزير: إنّما وصل إلى هذا وغيره بكم، فلو فارقتموه لم يتمّ له أمر. فاتّفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة، وإخراجه من مصر، فاجتمعوا، وشكوا إلى المستنصر، وسألوه أن يخرج عنهم ناصر الدولة، فأرسل إليه يأمره بالخروج، ويتهدّده إن لم يفعل، فخرج من القاهرة إلى الجيزة، ونُهبت داره ودُور حواشيه وأصحابه.

فلمّا كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفياً إلى القائد المعروف بتاج الملوك شاذي، فقبّل رجله، وقال: اصطنعني! فقال: أفعل؛ فحالفه على قتل مقدّم من الأتراك اسمه إلْدِكْز، والوزير الخطير، وقال ناصر الدولة لشاذي: تركب في أصحابك، وتسير بين القصرَيْن، فإذا أمكنتك الفرصة فيهما[3] فاقتلهما.

---

(١) يجعل النويري هذه الحوادث في سنة ٤٦٠ هـ. (نهاية الأرب ٢٨/ ٢٢٧). وكذا المقريزي في اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٧٥ و٢٧٦.

(٢) في الأصل: «الحيرة».

(٣) في الأوربية: «فيها».

وعاد ناصر الدولة إلى موضعه إلى الجيزة. وفعل شاذي ما أمره، فركب إِلْدِكْز إلى القصر، فرأى شاذي في جَمْعه، فأنكره، وأسرع فدخل القصر، ففاته، ثم أقبل الوزير في موكبه، فقتله شاذي، وأرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالركوب، فركب إلى باب القاهرة، فقال إِلْدِكْز للمستنصر: إن لم تركب، وإلاّ هلكتَ أنت ونحن. فركب، ولبس سلاحه، وتبِعه خلق عظيم من العامّة والجُند، واصطفّوا للقتال، فحمل الأتراك على ناصر الدولة فانهزم، وقُتل من أصحابه خلق كثير، ومضى منهزماً على وجهه لا يلوي على شيء، وتبِعه فلُّ أصحابه، فوصل إلى بني سِنبِس، فأقام عندهم وصاهرهم فقوي بهم.

وتجهّزت العساكر إليه ليبعدوه، فساروا حتّى قربوا منه، وكانوا ثلاث طوائف، فأراد أحد المقدّمين أن يفوز بالظَّفَر وحده دون أصحابه، فعبر فيمن معه إلى ناصر الدولة، وحمل عليه فقاتله، فظفر به ناصر الدولة، فأخذه أسيراً، وأكثر القتل في أصحابه، وعبر العسكر الثاني، ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم، فحمل ناصر الدولة عليهم، ورفع رؤوس القتلى على الرماح، فوقع الرعب في قلوبهم، فانهزموا وقُتل أكثرهم، وقويت نفس ناصر الدولة.

وعبر العسكر الثالث، فهزمه وأكثر القتل فيهم، وأسر مقدّمهم، وعظُم أمره، ونهب الريف فأقطعه، وقطع الميرة عن مصر برّاً وبحراً، فغلت الأسعار بها، وكثُر الموت بالجوع، وامتدّت أيدي الجُند بالقاهرة إلى النهب والقتل، وعظم الوباء حتى إنّ أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلّهم في ليلة واحدة.

واشتدّ الغلاء، حتّى حُكي أنّ امرأة أكلت رغيفاً بألف دينار، فاستُبعد ذلك، فقيل: إنّها باعت عُروضاً قيمتها ألف دينار بثلاثمائة دينار، واشترت بها حنطة، وحملها الحمّال على ظهره، فنُهبت الحنطة في الطريق، فنُهبت هي مع الناس، فكان الذي حصل[1] لها ما عملته رغيفاً واحداً[2].

وقطع ناصر الدولة الطريق برّاً وبحراً، فهلك العالم، ومات أكثر أصحاب

---

(١) في نسخة بودليان «فصل».

(٢) نهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٤، العبر ٣/ ٢٥٧، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٩، ٢٠، مرآة الجنان ٣/ ٨٩، ٩٠، تاريخ الخلفاء ٤٢٢، شذرات الذهب ٣/ ٢٩٩ و٣١٨.

المستنصر، وتفرّق كثير منهم، فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصُّلح، فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شاذي نائباً عن ناصر الدولة بالقاهرة، يحمل المال إليه، ولا يبقى[1] معه لأحدٍ حكم.

فلمّا دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغيّر عن القاعدة، واستبدّ بالأموال دون ناصر الدولة، ولم يرسل إليه منها شيئاً، فسار ناصر الدولة إلى الجيزة، واستدعى إليه شاذي وغيره من مقدّمي الأتراك، فخرجوا إليه إلاّ أقلّهم، فقبض عليهم كلّهم، ونهب ناحيتَيْ مصر، وأحرق كثيراً منهما[2]، فسيّر إليه المستنصر عسكراً فكبسوه، فانهزم منهم ومضى هارباً، فجمع جمعاً، وعاد إليهم فقاتلهم فهزمهم، وقطع خطبة المستنصر بالإسكندريّة ودمياط، وكانا معه، وكذلك جميع الريف، وأرسل إلى الخليفة ببغداذ يطلب خِلعاً ليخطب له بمصر[3].

واضمحلّ أمر المستنصر، وبطل ذكره، وتفرّق الناس من القاهرة، وأرسل ناصر الدولة إليه أيضاً يطلب المال، فرآه الرسول جالساً على حصير، وليس حوله غير ثلاثة خَدَم، ولم ير الرسول شيئاً من آثار المملكة، فلمّا أدّى الرسالة قال: أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير؟ فبكى الرسول، وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر، فأجرى له كلّ يوم مائة دينار، وعاد إلى القاهرة، وحكم فيها، وأذلّ السلطان وأصحابه[4].

وكان الذي حمله على ذلك أنّه كان يُظهر التَّسَنُّن من بين أهله، ويعيب المستنصر، وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد، وقبض على أمّ المستنصر، وصادرها بخمسين ألف دينار، وتفرّق عن المستنصر أولاده وكثيرٌ من أهله إلى الغرب، وغيره[5] من البلاد، فمات كثير منهم جوعاً[6].

---

(١) في الأصل: «أنه ما»، والمثبت من (أ).

(٢) في الأوربية: «كثير منها».

(٣) تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢١، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٦.

(٤) في (أ): «وأهانه».

(٥) في الأوربية: «وغيرها».

(٦) أخبار الدول المنقطعة ٧٣ ـ ٧٥، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢١، إتعاظ الحنفا ٢/٢٧٩، ٢٨٠.

وانقضت سنة أربعٍ وستّين [وأربعمائة] وما قبلها بالفِتن. وانحطّ السعر سنة خمسٍ وستّين، ورخصت الأسعار، وبالغ ناصر الدولة في إهانة المستنصر، وفرّق عنه عامّة أصحابه، وكان يقول لأحدهم: إنّني أُريد أن أوليّك عمل كذا؛ فيسير إليه، فلا يمكّنه من العمل ويمنعه من العَود، وكان غرضه بذلك (أن يخطب)[1] للخليفة القائم بأمر الله، ولا يمكنه مع وجودهم، ففطن لِفعله قائد كبير من الأتراك اسمه إِلْدِكْز، وعلم أنّه متى ما تمّ ما أراد تمكّن منه ومن أصحابه، فأطْلع على ذلك غيره من قوّاد الأتراك، فاتّفقوا على قتل ناصر الدولة، (وكان قد أمن لقوّته، وعدم عدوّه)[2]، فتواعدوا ليلةً على ذلك، فلمّا كان سَحَر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤوا إلى باب داره، وهي (التي تُعرف بمنازل العزّ[3]، وهي)[4] على النيل، فدخلوا، من غير استئذان، إلى صحن داره، فخرج إليهم ناصر الدولة في رداء لأنّه كان آمناً منهم، فلمّا دنا منهم ضربوه بالسيوف، فسبّهم، وهرب منهم يريد الحرم، فلحِقوه فضربوه حتّى قتلوه، وأخذوا رأسه.

ومضى رجل منهم، يُعرف بكوكب الدولة، إلى فخر العرب، أخي ناصر الدولة، وكان فخر العرب كثير الإحسان إليه، فقال للحاجب: استأذن لي على فخر العرب، وقُلْ صنيعتك فلان على الباب، فاستأذن له؛ فأذِن له وقال: لعلّه قد دهمه أمر. فلمّا دخل عليه أسرع نحوه كأنّه يريد السلام عليه، وضربه بالسيف على كتفه، فسقط إلى الأرض، فقطع رأسَه، وأخذ سيفه، وكان ذا قيمةٍ وافرة، وأخذ جاريةً له أردفها خلفه، وتوجّه إلى القاهرة؛ وقُتل أخوهما تاج المعالي، وانقطع ذِكر الحمدانيّة بمصر بالكلّيّة[5].

فلمّا كان سنة ستّ[6] وستّين وأربعمائة وليَ الأمر بمصر بدر الجماليّ، أمير

---

(١) في الأوربية: «ليخطب».
(٢) في الأوربية: «عدوّ»، وما بين القوسين من الباريسية.
(٣) منازل العزّ: دار أنشأتها تغريد أم العزيز بالله، تشريف على النيل، اتخذها الخلفاء الفاطميون متنزّهاً، وسكنها ناصر الدولة بن حمدان إلى أن قُتل. (المواعظ والاعتبار ١/ ٤٨٤ و٢/ ٣٦٤).
(٤) من الباريسية.
(٥) نهاية الأرب ٢٨/ ٢١٤ ـ ٢٣٢، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٢، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٧٩ و٣٠٩ و٣١٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٩١.
(٦) في (أ): «سبع».

الجيوش، وقتل إلْدِكْزَ والوزير ابن كُدَيْنة[1]، وجماعة من المَسْلَحيّة، وتمكّن من الدولة إلى أن مات، ووليَ بعده ابنه الأفضل، وسيرد ذِكرهم إن شاء الله تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أُقيمت الدعوة العبّاسيّة بالبيت المقدّس[2].

[الوفيات]

وفيها تُوُفيَ الأمير ليث بن منصور صدقة بن الحسين[3] بالدّامغان، والشريف أبو الغنائم[4] عبد الصّمد بن عليّ بن محمّد بن المأمون ببغداذ، وكان موته في شوّال، ومولده سنة أربعٍ وسبعين وثلاثمائة، وكان عالي الإسناد في الحديث.

وفيها، في ذي الحجّة، تُوُفّي الشريف أبو الحسين محمّد بن عليّ بن [محمد بن][5] (عُبَيد[6] الله بن)[7] عبد الصّمد بن المهتدي بالله، المعروف بابن

---

(١) ابن كُدَينة هو: أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن أبي كدَينة أبو أحمد الفارقي المعروف بأبي يعلى العِرقي الملّقب جلال الملك. من أهل عِرقة القريبة من طرابلس الشام، ومن أسرة عبد الحاكم الفارقي الذي ولي قضاء طرابلس. كان يتنقل بين القضاء والوزارة: انظر عنه في: الإشارة ٥٠، وأخبار مصر ٢/١٢ ـ ١٦، وأخبار الدول المنقطعة ٨٠، ٨١، واتعاظ الحنفا ٢/٢٧١ و٢٧٢ و٢٧٤ و٢٧٦ و٢٩٦ و٣٣٣، وكتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ١/٣١٥، ٣١٦ رقم ١٣٩، وكتابنا لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين (التاريخ الحضاري) موضوع: القضاء.

(٢) انظر: الدرّة المضيّة ٣٩٨.

(٣) هكذا في الأصول والمطبوع، وأعتقد أن العبارة فيها وهْم، فصدقة بن الحسين مقحم هنا لأنه لم يكن قد وُلد بعد، فهو وُلد سنة ٤٩٧ هـ. وتوفي ٥٧٣ هـ. أما الأمير «ليث بن منصور» فلم أقف على ترجمته.

(٤) انظر عن (أبي الغنائم) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٦٩، ١٧٠ رقم ١٣٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) إضافة على الأصل والمطبوع.

(٦) في طبعة صادر ١٠/٨٨ «عبد» والتصحيح من مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٨٦ ـ ١٨٨ رقم ١٥٧.

(٧) ما بين القوسين من الباريسية.

الغريق، وكان يسمّى راهب بني العبّاس، وهو آخر من حدّث عن الدّارَقُطْنيّ، وابن شاهين، وغيرهما[1]، وكان موته ببغداذ.

وفيها قُتل ناصر الدولة أبو عليّ الحسين[2] بن حمدان بمصر، قتله إلْدِكْز التركيُّ، وقد تقدّم شرحه مستوفًى.

وفيها توفّي الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيريُّ[3]، النَّيسابوريُّ، مصنّف «الرسالة» وغيرها، وكان إماماً، فقيهاً، أُصوليّاً، مفسّراً، كاتباً، ذا فضائل جمّة، وكان له فرس قد أُهدي إليه، فركبه نحو عشرين سنة، فلمّا مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً فعاش أسبوعاً ومات.

وفيها أيضاً توفّي عليُّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل أبو منصور، الكاتب المعروف بابن صُرّبَعْر، وكان نظام المُلك قال له أنت ابن صُرّدُرّ[4]، لا صُرّ بعر، فبقي ذلك عليه، وهو من الشعراء المُجِيدين، وهجاه ابن البياضيّ فقال:

لئـن نَبَـزَ النـاسُ قِـدمـاً أبـاك، فسمَّــوه مــن شَعْــره صُــرّ بَعْــرا
فــإنّــك تَنظِــمُ مــا صَــرَّهُ عُقــوقــاً لــهُ، وتُسمّيــهِ شِعْــرا[5]

وهذا ظلم من ابن البياضيّ، فإنّه كان شاعراً محسناً، ومن شِعر ابن صرّ دُرّ قوله:

تــزاوَرْنَ عــن أذرِعــاتٍ يمينــا، نــواشِــزَ ليــسَ[6] يُطِقــنَ[7] البُــرِينَـا

---

(١) من (أ).

(٢) في الباريسية: «الحسن»، والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٦٥ رقم ١٣١.

(٣) انظر عن (القشيري) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧٠ ـ ١٧٦ رقم ١٤٠ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٤) انظر عن (صُرَّدُرّ) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧٦ ـ ١٧٨ رقم ١٤٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) البيتان بألفاظ مختلفة في: المنتظم ٨/ ٢٨١ (١٦/ ١٤٩، ١٥٠)، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٨.

(٦) في تاريخ الإسلام: «لسن».

(٧) في الباريسية: «يطعن».

كَلِفْـــنَ بنَجــدٍ، كـــأن الـــرِّيـــاض ... أخـــذْنَ لنَجـــدٍ عليهـــا يمينَـــا

وأقسَمـــنَ يَحمِلـــن إلاّ نحيـــلاً ... إليـــه، ويُبلِغْـــنَ إلاّ حـــزينَـــا

فلمّـــا استمعْـــنَ زفيـــرَ المَشـــوقِ، ... ونـــوحَ الحَمـــام، تـــركْـــنَ[1] الحَنينَـــا

إذا جئتُمَـــا بـــانـــةَ الـــواديـــن، ... فـــأَزْخُـــوا النُّســـوعَ، وحُلّـــوا الـــوَضِينَـــا

فثـــمَّ عـــلائـــقُ مـــن أجلِهـــنّ، ... مُـــلاء الـــدجـــى والضُّحَـــى قـــد طُـــوينَـــا

وقـــد أنبـــأتهـــم مِيـــاهُ الجُفـــونِ ... بـــأنَّ بقَلبِـــكَ داء دَفِينَـــا[2]

(١) في تاريخ الإسلام: «تركت».

(٢) المنتظم ٨/٢٨١ (١٦/١٥٠)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧٧.

٤٦٦
ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه

في هذه السنة، في صفر، ورد كوهرائين إلى بغداذ من عسكر السلطان، وجلس له الخليفة القائم بأمر الله، ووقف على رأسه وليُّ العهد المقتدي بأمر الله، وسلّم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة، وقرأ الوزير أوّله، وسلّم إليه أيضاً لواء عقده الخليفة بيده، ولم يُمنع يومئذٍ أحدٌ من الدخول إلى دار الخلافة، فامتلأ صحن السلام بالعامّة، حتّى كان الإنسان تُهمّه نفسه ليتخلّص، وهنّأ الناس بعضُهم بعضاً بالسلامة[١].

ذكر غرق بغداذ

في هذه السنة غرق الجانب الشرقيّ وبعض الغربيّ من بغداذ.

وسببه أنّ دجلة زادت زيادة عظيمة، وانفتح القورج عند المُسَنّاة المُعِزّيّة، وجاء في الليل سيل عظيم، وطفح الماء من البرّيّة مع ريح شديدة، وجاء الماء إلى المنازل من فوق، ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقيّ، وهلك خلق كثير تحت الهدم، وشُدّت الزواريق تحت التاج خوف الغرق.

وقام الخليفة يتضرّع ويصلّي، وعليه البُردة، وبيده القضيب، وأتى أيتِكِين السليمانيُّ من عُكبرَا، فقال للوزير: إنّ الملاّحين يؤذون الناس في المعابر فأحضرهم، وتهدّدهم بالقتل، وأمر بأخذ ما جرت به العادة.

وجُمع[٢] الناس، وأقيمت الخطبة للجمعة في الطيّار مرّتين، وغرق من الجانب

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٨٤ (١٦/ ١٥٤)، تاريخ دولة آل سلجوق ٥١.

(٢) في (أ): «وحمي».

الغربيّ مقبرة أحمد، ومشهد باب التبن، وتهدّم سوره، فأطلق شرف الدولة ألف دينار تُصرف في عمارته، ودخل الماء من شبابيك البيمارستان[1] العضُديّ.

ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق أنّ الناس، في العام الماضي، كانوا قد أنكروا كثرة المغنّيات والخمور، فقطع بعضهم أوتار عود مغنّية كانت عند جُنديّ، فثار به الجُنديُّ الذي كانت عنده، فضربه، فاجتمعت العامّة ومعهم كثير من الأئمة منهم أبو إسحاق الشيرازيُّ، واستغاثوا بالخليفة[2]، وطلبوا هدم المواخير والحانات[3] وتبطيلها، فوعدهم أن يكاتب السلطانَ في ذلك، فسكنوا وتفرّقوا.

ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه، فاتّفق أن غرقت بغداذ، ونال الخليفةَ والجندَ من ذلك أمرٌ عظيم، وعمّت[4] مصيبته الناسَ كافّة[5]، فرأى الشريف أبو جعفر بن أبي موسى بعض الحجّاب الذين يقولون: نحن نكاتب السلطان، ونسعى[6] في تفريق الناس، ويقول: اسكنوا إلى أن يرد الجواب. فقال له أبو جعفر: قد كتبنا، وكتبتم، فجاء جوابنا قبل جوابكم، يعني أنّهم شكوا ما حلّ بهم إلى الله تعالى، وقد أجابهم بالغرق، قبل ورود جواب السلطان[7].

ذكر ملك السلطان ملكشاه تِرمِذ والهدنة بينه وبين صاحب سَمَرْقَنْد

قد ذكرنا أنّ خاقان ألتِكِين صاحب سَمَرْقَنْد ملك تِرمِذ بعد قتل السلطان ألْب أرسلان، فلمّا استقامت الأمور للسلطان ملكشاه سار إلى تِرمِذ وحصرها، وطمّ

---

(١) في (أ): «المارستان».

(٢) في الأوربية: «إلى الخليفة».

(٣) في الباريسية: «والخانات».

(٤) في (أ): «وعظمت».

(٥) في الأوربية: «كافّة النّاس».

(٦) في (أ): «ويسعى».

(٧) انظر عن الغرق في: المنتظم ٨/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦ (١٦/ ١٥٤ ـ ١٥٧)، تاريخ الزمان ١١٤، ذيل تاريخ دمشق ١٠٦، تاريخ دولة آل سلجوق ٥١. الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٠، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٠، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٩، ٢٤٠، الدرة المضية ٣٩٧ و٤٠١، العبر ٣/ ٢٦١، دول الإسلام ١/ ٢٧٥، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٤، ٢٥، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٧، مرآة الجنان ٣/ ٩٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٠٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٢، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥.

العسكر خندقها، ورماها بالمجانيق[1]، فخاف من بها، فطلبوا الأمان فأمّنهم، وخرجوا منها وسلّموها.

وكان بها أخٌ لخاقان ألتِكِين، فأكرمه السلطان، وخلع عليه (وأحسن إليه)[2]، وأطلقه، وسلّم قلعة تِرمِذ إلى الأمير سلوتكين، وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكَم، وحفْر خندقها وتعميقه، ففعل ذلك.

وسار السلطان ملكشاه يريد سَمَرْقَند، ففارقها صاحبها، وأنفذ يطلب المصالحة، ويضرع إلى نظام المُلك في إجابته إلى ذلك، ويعتذر من تعرّضه إلى تِرمِذ، فأُجيب إلى ذلك، واصطلحوا، وعاد ملكشاه عنه إلى خُراسان، ثم منها إلى الرَّيّ، وأقطع بلْخ وطُخارِستان لأخيه شهاب الدين تكش[3].

ذكر عدّة حوادث
[الوَفَيَات]

فيها توفّي زعيم الدولة[4] أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنيْل فجأةً، وله سبعون سنة، وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية.

وفيها توفّي إياز[5] أخو السلطان ملكشاه، وكُفي شرّه كما كُفي شرّ عمّه قاورت بك.

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي القاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السِّمنانيُّ[6]

---

(١) في (أ): «بالمنجنيق».

(٢) من (أ).

(٣) زبدة التواريخ ١٢٨، نهاية الأرب ٢٦/٣٢١، ٣٢٢، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٥، دول الإسلام ١/٢٧٥.

(٤) انظر عن (زعيم الدولة) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٠٧ رقم ١٨٧ وفيه مصادر ترجمته، يُضاف إليها: تاريخ دولة آل سلجوق ٥٢ وفيه «زعيم الملك».

(٥) في (أ): «إياس»، وعلى الهامش «إلياس»، وفي الباريسية: «إياز»، وفي نسخة بودليان: «إلياس».

(٦) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمود بن أعين. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٩٢، ١٩٣ رقم ١٦٥ وفيه مصادر ترجمته.

حمو قاضي القضاة أبي عبدالله الدّامغانيّ، ووليَ ابنه أبو الحسن ما كان إليه من القضاء بالعراق والموصل، وكان مولده سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائة بسمنان، وكان هو وأبوه من المغالين[1] في مذهب الأشعريّ، ولأَبيه فيه تصانيف كثيرة، وهذا ممّا يُستطرف أن يكون حنفيّ أشعريّاً.

وفيها، في جمادى الآخرة، توفّي عبد العزيز [بن][2] أحمد بن محمّد بن عليّ أبو محمد الكتّانيُّ، الدمشقيُّ، الحافظ، وكان مكثراً في الحديث، ثقة، وممّن سمع منه الخطيب أبو بكر البغداذيُّ.

---

(١) في (أ): «المضاهين».

(٢) في طبعة صادر ٩٣/١٠ «عبد العزيز أحمد»، والمستدرك من مصادر ترجمته الكثيرة التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤ رقم ١٨١.

٤٦٧
ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة[١]

ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته

في هذه السنة، ليلة الخميس ثالث عشر شعبان، توفّي القائم بأمر الله أمير المؤمنين[٢]، رضي الله عنه، واسمه عبدالله أبو جعفر بن القادر بالله أبي العبّاس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العبّاس أحمد.

وكان سبب موته أنّه كان قد أصابه شَرَى، فافتصد، ونام منفرداً[٣]، فانفجر فصاده، وخرج منه دمٌ كثير ولم يشعر، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوّته، فأيقن بالموت، فأحضر وليَّ العهد، ووصّاه بوصايا، وأحضر النقيبَيْن وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جَهِير، وأشهدهم على نفسه أنّه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبدالله بن محمّد بن القائم بأمر الله وليَّ عهده.

ولمّا توفّي غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشميُّ، وصلّى عليه المقتدي بأمر الله.

وكان عمره ستّاً[٤] وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيّام، وخلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وأيّاماً[٥]؛ وقيل[٦] كان مولده ثامن[٧] عشر ذي

(١) العنوان من الباريسية. وفي الأصول مكانه: «ذكر خروج سكين بمصر».

(٢) انظر عن (القائم بأمر الله) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨ وفيه حشدت عشرات المصادر لخبر وفاته. وكذا ترجمته ص ٢٢٦ ـ ٢٣١ رقم ٢١٣.

(٣) من (أ).

(٤) في الأوربية: «ستّ».

(٥) في (أ): «وخمسة وعشرين يوماً»، وفي الأوربية: «وأيام».

(٦) من (أ).

(٧) في الباريسية: «ثالث».

الحجّة[1] سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، (وعلى هذا يكون عمره ستّاً وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً)[2].

وأمّه أمّ ولد تُسمّى قَطر النَّدى، أرمنيّة، وقيل رُوميّة، أدركت خلافته، وقيل اسمها عَلَم، وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

وكان القائم[3] جميلاً، مليح الوجه، أبيض، مشرباً حُمرةً، حَسَن الجسم، ورعاً، ديّناً، زاهداً، عالماً، قويّ اليقين بالله تعالى، كثير الصبر، وكان للقائم عناية بالأدب، ومعرفةٌ حسنة بالكتابة، ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان، فكان يُصلح فيه أشياء، وكان مؤثِراً للعدل والإنصاف[4] يريد قضاء حوائج الناس، لا يرى المنع من شيء يُطْلب منه.

قال محمّد بن عليّ بن عامر الوكيل: دخلتُ يوماً إلى المخزن، فلم يبق أحدٌ إلاّ أعطاني قَصّةً، فامتلأت أكمامي منها، فقلتُ في نفسي: لو كان الخليفة أخي لأعرض عن هذه كلّها، فألقيتها في بركة، والقائم ينظر ولا أشعر، فلمّا دخلتُ إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة، فأُخرِجَت، ووقف عليها، ووقّع فيها بأغراض أصحابها، ثم قال لي: يا عاميّ! ما حملك على هذا؟ فقلتُ: خوف الضجر منها؛ فقال: لا تَعُدْ إلى مثلها! فإنّا ما أعطيناهم من أموالِنا شيئاً، إنّما نحن وكلاء[5].

ووزر للقائم أبو طالب محمّد بن أيّوب، وأبو الفتح بن دارست، ورئيس الرؤساء، وأبو نصر بن جَهِير؛ وكان قاضيه ابن ماكولا، وأبو عبدالله الدّامغانيُّ.

ذكر خلافة المقتدي بأمر الله

لمّا توفّي القائم بأمر الله بويع المقتدي بأمر الله عبدالله بن محمّد بن القائم بالخلافة، وحضر مؤيّد الملك بن نظام المُلك، والوزير فخر الدولة بن جَهِير وابنه

---

(١) في (أ): «القعدة».
(٢) من الباريسية.
(٣) من (أ).
(٤) في (أ): «والإحسان».
(٥) تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ ـ) ص ٢٣٠.

عميد الدولة، والشيخ أبو إسحاق، وأبو نصر بن الصبّاغ، ونقيب النقباء طِراد، والنقيب الطّاهر المعمّر بن محمّد، وقاضي القضاة أبو عبدالله الدامغانيُّ وغيرهم من الأعيان والأماثل، فبايعوه.

وقيل: كان أوّل من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشميُّ، فإنّه لمّا فرغ من غسل القائم بايعه، وأنشده:

إذا سيّـدٌ منّـا مضَـى قـامَ سيّـدٌ

ثمّ أرتِج عليه، فقال المقتدي:

قَـؤولٌ بمـا قـال الكِـرامُ[1] فَعـولُ

فلمّا فرغوا من البَيعة صلّى بهم العصر.

ولم يكن للقائم من أعقابه ذَكَرٌ سواه، فإنّ الذخيرة أبا العبّاس محمّد بن القائم توفّي أيّام أبيه، ولم يكن له غيره، فأيقن الناس بانقراض نسله، وانتقال الخلافة من البيت القادريّ إلى غيره، ولم يشكّوا في اختلال الأحوال بعد القائم، لأنّ من عدا البيت القادريّ كانوا يخالطون العامّة في البلد، ويَجرون مَجرى السوقة، فلو اضطرّ الناس إلى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول، ولا تلك الهيبة، فقدّر الله تعالى أنّ الذّخيرة أبا العبّاس كان له جارية اسمها أرجُوان، وكان يُلمّ بها، فلمّا توفّي ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عَقِبه، ذكرتْ أنّها حامل، فتعلّقت النفوس بذلك، فولدت بعد موت سيّدها بستّة أشهر المقتدي، فاشتدّ فرح القائم، وعظُم سروره، وبالغ [في] الإشفاق عليه والمحبّة له.

فلمّا كانت حادثة البساسيريُّ كان للمقتدي قريب أربع سنين، فأخفاه أهله، وحمله أبو الغنائم بن المَحْلَبان إلى حرّان، كما ذكرنا، ولمّا عاد القائم إلى بغداذ أُعيد المقتدي إليه. فلمّا[2] بلغ الحُلم جعله وليّ عهد، ولمّا وليَ الخلافة أقرّ فخرَ الدولة

---

(١) في المنتظم ٨/٢٩٣ (١٦/١٦٥) «بما قال الرجال». والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٣/٢٤٣، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨.

(٢) في (أ) زيادة: «سمع أنه».

ابن جَهِير على وزارته بوصيّةٍ من القائم بذلك، وسيّر عميد الدولة بن فخر الدولة بن جَهِير إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة، وكان مسيره في شهر رمضان، وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجلّ عن[1] الوصف[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شوّال، وقعت نار ببغداذ[3] في دكّان خبّاز بنهر المعلّى، فاحترقت من السوق مائة[4] وثمانون[5] دكّاناً سوى الدور، ثمّ وقعت نار في المأمونيّة، ثم في الظفريّة، ثم في درب المطبخ، ثم في دار الخليفة، ثم في حمّام السمرقنديّ، ثم في باب الأَزَج ودَرب خُراسان[6]، ثمّ في الجانب الغربيّ في نهر طابق، ونهر القلّائين، والقطيعة، وباب البصرة، واحترق[7] ما لا يُحصى[8].

وفيها أرسل المستنصر بالله العلويُّ، صاحب مصر، إلى صاحب مكّة ابن أبي هاشم رسالة وهدية جليلة، وطلب منه أن يُعيد له الخطبة بمكّة، حرسها الله تعالى، وقال: إنّ أَيمانك وعهودك كانت للقائم، وللسلطان ألْب أرسلان، وقد ماتا؛ فخطب له بمكّة وقطع خطبة المقتدي، وكانت مدّة الخطبة العبّاسيّة بمكّة أربع سنين وخمسة أشهر، ثم أُعيدت في ذي الحجة سنة ثمانٍ وستّين [وأربعمائة][9].

---

(١) في الأوربية: «من».

(٢) المنتظم ٨/ ٢٩٣ (١٦/ ١٦٦)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠١، تاريخ دولة آل سلجوق ٥٣، ٥٤، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٩.

(٣) من (أ).

(٤) من الباريسية.

(٥) في الأوربية: «وثمانين».

(٦) في (أ): «فراسيا».

(٧) في الباريسية: «وأرسل».

(٨) المنتظم ٨/ ٢٩٤ (١٦/ ١٦٧)، مرآة الزمان (حوادث ٤٦٧ هـ.)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠، البداية والنهاية ١٢/ ١١١، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٩) المنتظم ٨/ ٢٩٤ (١٦/ ١٦٧)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٩، البداية والنهاية ١٢/ ١١١، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣١٤.

وفيها كانت حرب شديدة بين بني رياح وزُغبة ببلاد إفريقية، فقويت بنو رياح على زُغبة فهزموهم وأخرجوهم عن البلاد[1].

وفيها جمع نظام المُلك، والسلطان ملكشاه، جماعة من أعيان المنجّمين، وجعلوا النَّيروز[2] أوّل نُقطة من الحمَل، وكان النَّيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت. وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم[3].

وفيها أيضاً عُمل الرَّصد للسلطان ملكشاه، واجتمع جماعة من أعيان المنجّمين في عمله منهم: عمر بن إبراهيم الخيّاميُّ، وأبو المظفّر الإسفزاريُّ، وميمون بن النجيب الواسطيُّ، وغيرهم، وخرج عليه من الأموال شيء عظيم، وبقي الرصد دائراً إلى أن مات السلطان سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة، فبطل (بعد موته)[4].

---

(١) البيان المغرب ١/ ٣٠٠، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠.

(٢) في الباريسية: «النوروز».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩١، العبر ٣/ ٢٦٣، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٦.

(٤) من الباريسية.
والخبر في: المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩١، ١٩٢، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٨، مرآة الجنان ٣/ ٩٤، البداية والنهاية ١٢/ ١١١، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٥.

٤٦٨
ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

ذكر ملك أقسيس دمشق

قد ذكرنا سنة ثلاثٍ[١] وستّين [وأربعمائة] ملك أقسيس الرملة، والبيت المقدّس، وحصره مدينة دمشق، فلمّا عاد عنها جعل يقصد أعمالها كلّ سنة عند إدراك الغلّات فيأخذها، فيقوى هو وعسكره، ويضعف أهل دمشق وجُندها، فلمّا كان رمضان سنة سبْعٍ وستّين سار إلى دمشق فحصرها، وأميرها المُعَلّى بن حَيْدرة من قِبَل الخليفة المستنصر، فلم يقدر عليها، فانصرف عنها في شوّال، فهرب أميرها المُعَلّى في ذي الحجّة.

وكان سبب هربه أنّه أساء السيرة مع الجُند والرعيّة وظلمهم، فكثر الدعاء عليه، وثار به العسكر، وأعانهم العامّة، فهرب منها إلى بانياس، ثم منها إلى صور، ثم أُخِذ إلى مصر فحُبس بها، فمات محبوساً.

فلمّا هرب من دمشق اجتمعت المَصامدة، وولّوا عليهم انتصار بن يحيى المصموديّ، المعروف برزين الدولة، وغلت الأسعار بها حتّى أكل الناس بعضهم بعضاً.

ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد، وعرف أقسيس[٢] ذلك، فعاد إلى دمشق، فنزل عليها في شعبان من هذه السنة، فحصرها، فعُدمت[٣] الأقوات، فبيعت الغرارة، إذا وُجدتْ، بأكثر من عشرين ديناراً، فسلّموها إليه بأمان، (وعُوّض انتصارٌ عنها بقلعة بانياس، ومدينة يافا من الساحل)[٤]، ودخلها هو وعسكره في ذي القعدة،

---

(١) في الباريسية: «إحدى».
(٢) هكذا ورد هنا، مع أنه تقدّم قبل ذلك: «أتسِز»، ونوّهت بأنه يرد في المصادر بعدّة صِيغ.
(٣) في (أ): «فغلت».
(٤) من الباريسية.

وخطب بها يوم الجمعة لِخمسٍ[1] بقين من ذي القعدة، للمقتدي بأمر الله الخليفة العبّاسيّ، وكان آخر ما خطب فيها للعلويّين المصريّين، وتغلّب على أكثر الشام، ومنع الأذان بحيّ على خير العمل، ففرح أهلها فرحاً عظيماً، وظلم أهلها، وأساء السيرة فيهم[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة مَنبج وأخذها من الروم[3].

وفيها قدِم سعد الدولة[4] كوهرائين شِحنةً إلى بغداذ من عسكر السلطان، ومعه العميد أبو نصر ناظراً في أعمال بغداذ.

وفيها وثب الجُند بالبطيحة على أميرها أبي نصر بن الهَيثم، وخالفوا عليه، فهرب منهم، وخرج من ملكه والذخائر والأموال التي جمعها في المدّة الطويلة، ولم يصحبه من ذلك جميعه شيء، وصار نزيلاً على كوهرائين شِحنة العراق.

وفيها انفجر البثوق بالفَلّوجة، وانقطع الماء من النّيْل وغيره من تلك الأعمال من بلاد دُبَيْس بن مَزْيد، فجلا أهل البلاد، ووقع الوباء فيهم، ولم يزل كذلك إلى أن سدّه عميد الدولة بن جَهِير سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة][5].

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة توفّي أبو عليّ الحسن[6] بن القاسم بن محمّد المقري، المعروف بغلام الهرّاس الواسطيّ، بها، وكان محدّثاً علّامةً في كثير من العلوم.

---

(١) في الأوربية: «بخمس».

(٢) انظر هذا الخبر في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣١ ـ ٣٣ وقد حشدت فيه روايات مختلفة عنه وتعليقات.

(٣) انظر خبر منبج في تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣١ وفيه حشدت المصادر عنه.

(٤) في (أ): «الدين».

(٥) انظر: المنتظم ٨/ ٢٩٤، ٢٩٥ (١٦/ ١٦٧).

(٦) في (أ): «الحسين»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣ رقم ٢٤٤.

وفي شعبان توفّي القاضي أبو الحسن[1] محمّد بن محمّد بن البيضاويّ الفقيه الشافعيُّ، وكان يدرّس الفِقه بدرب السلوليّ بالكرْخ، وهو زوج ابنة القاضي أبي الطيّب الطبريّ؛ وعبد الرحمن (بن محمّد)[2] بن المظفّر بن محمّد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الدّاوديُّ، راوي «صحيح البخاريّ»، وُلد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وسمع الحديث وتفقّه للشافعيّ على أبي بكر القفّال، وأبي حامد الإسْفَرَايينيّ، وصحِب أبا عليّ الدقّاق، وأبا عبد الرحمن السُّلميّ، وكان عابداً خيّراً، قصده نظام المُلك، فجلس بين يديه، فوعظه، وكان في قوله: إنّ الله تعالى سلّطك على عباده، فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم[3]؛ فبكى. وكان موته ببُوشَنْج.

(وفيها توفّي أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن محمّد بن مَتُّوَيْه الواحديُّ[4] المفسّر، مصنّف «الوسيط»، و«البسيط»، و«الوجيز»، في التفسير، وهو نَيسابوريٌّ إمام)[5] مشهور؛ وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست[6]، وزير القائم، توفّي بالأهواز. ومحمّد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس[7] أبو بكر الصَّفّار النَّيسابوريُّ، الفقيه الشافعيُّ، تفقّه على أبي محمّد الجُوَينيّ، وسمع من الحاكم أبي عبدالله، وأبي عبد الرحمن السُّلميّ، وغيرهما.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/١٠١ «الحسين»، والمثبت من (أ): ومن مصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٦٩، ٢٧٠ رقم ٢٦٨.

(٢) من (أ) وفيها: «بن محمد بن محمد»، والمثبت من مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٣٢ ـ ٢٣٦ رقم ٢١٧ (وفيات ٤٦٧ هـ.).

(٣) المنتظم ٨/٢٩٦ (١٦/١٦٨)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٣٥.

(٤) انظر عن (الواحدي) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠ رقم ٢٥٣ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

(٦) انظر عن (ابن دارست) في: الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٩٧، وزبدة التواريخ ١٢٩ (بالحاشية)، وزبدة النصرة للعماد ٢٢، ٢٣، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ٢٠٩، والبداية والنهاية ١٢/٨٦، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٦٨ وفيه «محمد بن دارست». ولم يذكره ابن طباطبا في: الفخري.

(٧) انظر عن (ابن عبدوس) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٦٩ رقم ٢٦٧ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها توفي مسعود بن المحسن[1] بن الحسن بن عبد الرزّاق أبو جعفر البياضيُّ[2] الشاعر، له شِعر مطبوع، فمنه قوله:

يا من لبستُ لبُعدهِ[3] ثوبَ الضَّنى، حتّى خَفِيتُ به عن العُوّادِ
وأنِسْتُ بالسَّهَر[4] الطويل، فأُنسِيَتْ أجفانُ عيني كيفَ كانَ رُقادِي
إن كان يوسفُ بالجَمالِ مُقطِّعَ الـ أيدي، فأنتَ مُفتّتُ[5] الأكبادِ[6]

---

(١) في (أ): «الحسن». والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢٧٠.

(٢) قيل له البياضي: لأن بعض أجداده كان مع جماعة بني العباس وكلهم قد لبسوا أسود غيره، فسأل الخليفة عنه وقال: من ذلك البياضي؟ فبقي عليه لقباً. (الأنساب المتّفقة ١/ ٣، الأنساب ٢/ ٣٥٦، ٣٥٧، وفيات الأعيان ٥/ ١٩٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٢، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) في المنتظم، وتاريخ الإسلام: «لهجره».

(٤) في المنتظم: «بالسَّحَر».

(٥) في المنتظم، وتاريخ الإسلام: «مقطّع».

(٦) الأبيات في: المنتظم ٨/ ٣٠٠، ٣٠١ (١٦/ ١٧٥، ١٧٦)، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٧٢، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٨.

٤٦٩

ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

ذكر حصر أقسيس مصر وعَوده عنها

في هذه السنة سار أقسيس من دمشق إلى مصر، وحصرها، وضيّق على أهلها، ولم يبق غير أن يملكها، فاجتمع أهلها مع ابن الجوهريّ الواعظ في الجامع، وبكوا وتضرّعوا ودعَوا، فقبِل الله دعاءهم، فانهزم أقسيس من غير قتال، وعاد على أقبح صورة بغير سبب، فوصل إلى دمشق وقد تفرّق أصحابه، فرأى أهلها قد صانوا مخلّفيه وأمواله[١]، فشكرهم، ورفع عنهم الخراج تلك السنة.

وأتى البيتَ المقدّس، فرأى أهله قد قبّحوا على أصحابه ومخلّفيه، وحصروهم[٢] في محراب داود، عليه السلام، فلمّا قارب البلد تحصّن أهله منه وسبّوه، فقاتلهم، ففتح البلد عَنْوةً ونهبه، وقتل من أهله فأكثر حتّى قتل مَن التجأ إلى المسجد الأقصى، وكفّ عمّن كان عند الصخرة وحدها.

هكذا يذكر الشاميّون (هذا الاسم)[٣] أقسيس، والصحيح أنه[٤] أتسِز، وهو اسم تركيّ، وقد ذكر بعض مؤرّخي الشام أنّ أتسِز لمّا وصل إلى مصر جمع أمير الجيوش بدر العساكر، واستمدّ العرب وغيرهم من أهل البلاد، فاجتمع معه خلق كثير، واقتتلوا، فانهزم أتسِز، وقُتل أكثر أصحابه، وقُتل أخٌ له، وقُطعت يد أخٍ آخر، وعاد

---

(١) من (أ).

(٢) في الأوربية: «وحصروهم».

(٣) من (أ).

(٤) من (أ).

منهزماً إلى الشام في نفرٍ قليل من عسكره، فوصل إلى الرَّملة، ثم سار منها إلى دمشق.

وحكى لي من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر: أنّ أتسِز لمّا وصل إلى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة في الناس، وظلموهم، وأخذوا أموالهم، وفعلوا الأفاعيل القبيحة، فأرسل رؤساء القُرى ومقدّموها إلى الخليفة المستنصر بالله العلويّ يشكون إليه ما نزل بهم، فأعاد الجواب بأنّه عاجز عن دفع هذا العدوّ، فقالوا له: نحن نرسل إليك مَنْ عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك، ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحاً، وعسكر هذا العدوّ قد أمِنوا، وتفرّقوا في البلاد، فنثور بهم في ليلةٍ واحدة ونقتلهم، وتخرج أنت إليه فيمن اجتمع عندك من الرجال، فلا يكون له بك قوّة. فأجابهم إلى ذلك.

وأرسلوا إليه الرجال، وثاروا كلّهم في ليلة واحدة بمن عندهم، فأوقعوا بهم، وقتلوهم عن آخرهم، ولم يسلم منهم إلاّ من كان عنده في عسكره، وخرج إليه العسكر الذي عند المستنصر بالقاهرة، فلم يقدر على الثبات لهم، فولّى منهزماً، وعاد إلى الشام، وكُفي أهل مصر شرّه وظلمه[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد بغداذ أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم القُشيري حاجّاً، وجلس في المدرسة النظاميّة يعظ الناس، وفي رباط شيخ الشيوخ، وجرى له مع الحنابلة فِتَنٌ لأنّه تكلّم على مذهب الأشعريّ، ونَصَرَه، وكثُر أتباعه والمتعصّبون له، وقصد خصومه من الحنابلة، ومن تبِعهم، سوق المدرسة النظاميّة وقتلوا جماعة.

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٥٠ (سويم) ١٧، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/٢٥، تاريخ الزمان ١١٥، ذيل تاريخ دمشق ١٠٩ ـ ١١٢، مرآة الزمان (حوادث ٤٦٩ هـ.)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٢، المنتقى من أخبار مصر ٤٤، نهاية الأرب ٢٨/٢٣٧، العبر ٢/٢٦٩، دول الإسلام ٢/٤، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٣، ٤٧٤، إتعاظ الحنفا ٢/٣١٧، ٣١٨.

وكان من المتعصّبين للقشيري الشيخ أبو إسحاق، وشيخ الشيوخ، وغيرهما من الأعيان[1]، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة[2].

وفيها تزوّج الأمير عليُّ بن أبي منصور بن فرامرْز بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكوَيْه أرسلان خاتون[3] بنت داود عمّة السلطان ملكشاه التي كانت زوجة القائم بأمر الله.

وفيها كان بالجزيرة، والعراق، والشام وباء عظيم، وموت كثير، حتّى بقي كثير [من] الغلاّت ليس لها من يعملها لكثرة الموت في الناس[4].

[الوَفيات]

وفيها مات محمود بن مرداس[5]، صاحب حلب، وملك بعده ابنه نصر، فمدحه ابن حيّوس بقصيدة يقول فيها:

ثمانيةٌ لم تفترِقْ مُذْ جَمَعْتَها، فلا افترقتْ ما ذَبَّ[6] عن ناظرٍ شَعْرُ
ضميرُكَ والتّقوَى وَجُودكَ والغِنَى ولَفظُكَ والمَعْنى وعَزمُك والنَّصْرُ
وكان لمحمودِ بنِ نصرٍ سَجِيّةٌ وغالبُ ظَنّي أنْ سيُخلِفُها[7] نَصْرُ

فقال: والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له. وأمر له بما كان يعطيه أبوه، وهو ألف دينار، في طبق فضّة[8].

---

(١) من (أ): «الأئمة».

(٢) المنتظم ٨/ ٣٠٥ (١٦/ ١٨٠)، تاريخ دولة آل سلجوق ٥٤، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٤٣، ٢٤٤، العبر ٣/ ٢٦٩، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٤، مرآة الجنان ٣/ ٩٧، تاريخ الخلفاء ٤٢٤.

(٣) اسمها: «خديجة». انظر: زبدة التواريخ ٥٨ و٦٣.

(٤) المنتظم ٨/ ٣٠٧ (١٦/ ١٨٣، ١٨٤).

(٥) انظر عن (محمود بن مرداس) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٤٤ رقم ٢٣١ وفيه مصادر ترجمته، في وفيات ٤٦٧ هـ.

(٦) في (أ): «فر».

(٧) في المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٢، ١٩٣ «سيخلف».

(٨) المنتظم ٨/ ٣٠٤ (١٦/ ١٨٠).

وكان على بابه جماعة من الشعراء، فقال بعضهم:

على بـابِكَ المعمـورِ[1] مِنّـا عِصابـةٌ مَفَـاليـسُ فـانظُـر فـي أُمـورِ المَفـاليـسِ
وقـد قَنِعَـتْ منـك العِصـابـةُ كلّهـا بعُشـر الـذي أعطيتَـهُ لابـن حَيُّـوسِ
ومـا بينَنـا هـذا التقـاربُ[2] كلّـه، ولكـن سعيـدٌ لا يُقـاسُ بمَنحـوسِ[3]

فقال لو قال: بمثل الذي أعطيته، لأعطيتُهم ذلك؛ وأمر لهم بمثل نصفه.

وفيها توفّي أَسْبَهْدُوَسْت[4] بن محمّد بن الحسن أبو منصور الدَّيْلميُّ الشاعر، وكان قد لقي ابن الحَجّاج، وابن نُباتة، وغيرهما، وكان يتشيّع، وتركه، وقال في ذلك:

وإذا سُئِلْتُ عـن اعتقـادي قلـتُ: مـا كـانَـت عليـه مـذاهـبُ الأبـرارِ
وأقـولُ: خيـرُ النـاس بعـدَ محمّـدٍ صِـدّيقُـهُ وأنِيسُـه فـي الغـارِ[5]

وفيها توفّي رئيس العِراقَيْن أبو أحمد النهاونديُّ الذي كان عميد بغداذ، والشريف أبو جعفر بن أبي موسى[6] الهاشميُّ الحنبليُّ؛ ورِزْق الله بن محمّد بن أحمد بن عليّ أبو سعد[7] الأنباريُّ الخطيب، الفقيه، الحنفيّ، سمع الحديث الكثير، وكان ثقةً حافظاً؛ وطاهر[8] بن أحمد بن بابشاذ[9] النحْوي، المصريُّ[10]، توفّي في رجب،

---

(1) في زبدة الحلب: «الميمون».

(2) في (أ): «التقاوت»، وفي المنتظم، والزبدة: «التفاوت».

(3) المنتظم ٨/ ٣٠٥ (١٦/ ١٨٠، ١٨١)، زبدة الحلب ٢/ ٤١.

(4) انظر عن (أسبهدوست) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨١، ٢٨٢ رقم ٢٨٢ وفيه مصادر ترجمته. وفي: المنتظم: «اسبهندوست».

(5) البيتان من جملة أبيات في: المنتظم ٨/ ٣٠٨ (١٦/ ١٨٤، ١٨٥).

(6) هو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد. انظر عنه في: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤١، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٣، ومصادر أخرى ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٢٢، ٣٢٧ رقم ٣٢٢.

(7) في (أ): «سعيد». والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨٨ رقم ٢٨٦.

(8) انظر عن (طاهر بن أحمد) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨٩ ـ ٢٩١ رقم ٢٨٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(9) بابشاذ: كلمة عجمية يتضمّن معناها الفرح والسرور. (مرآة الجنان ٣/ ٩٨).

(10) في الباريسية: «المصيري».

سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته؛ وعبدالله بن محمّد بن عبدالله بن عمر بن أحمد المعروف بابن هَزَارْمَرْد[1]، الصَّرِيفِينيّ[2]، راوية أحاديث عليّ بن الجَعْد، وهو آخر من رواها، وكان ثقةً، صالحاً، ومن طريقه سمعناها.

---

(١) هَزَارْمَرْد: بفتح أوله وثانيه، وسكون الراء، وفتح الميم، وسكون الدال المهملة، ودال مهملة في آخره.

(٢) الصَّرِيفيني: بفتح الصاد المهملة وكسر الراء، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين والفاء بين الياءين، وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى صَرِيفين، قريتين إحداهما من أعمال واسط، والأخرى صريفين بغداد. (الأنساب ٨/٥٨، ٥٩) وينسبه ابن القيسراني إلى «صريفين عُكبرا». (الأنساب المتفقة ٨٩)، وانظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤ رقم ٢٩٠ وفيه حشدت مصادره.

٤٧٠
ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد مؤيّد المُلك بن نظام المُلك إلى بغداذ من العسكر.

وفيها اصطلح تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، مع الناصر بن عَلناس، وهو من بني حمّاد، عمّ جدّه، وزوّجه تميم ابنته بلارة، وسيّرها إليه من المهديّة في عسكر، وأصحبها من الحُليّ والجِهاز ما لا يُحدّ، وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار، فأخذ منها تميم ديناراً واحداً وردّ الباقي[١].

وفيها استعمل تميم ابنه مُقلّداً على مدينة طرابلس الغرب.

وكان ببغداذ، في هذه السنة، فتنة بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد، فنهب بعضهم بعضاً، وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداذ بالدار التي عند المدرسة، فأرسل إلى العميد والشحنة فحضرا ومعهما الجُند، فضربوا الناس، فقُتل بينهم جماعة وانفصلوا[٢].

[الوَفيات]

وفي هذه السنة، في ربيع الأوّل، توفّي القاضي أبو عبدالله محمّد بن محمّد (بن محمّد)[٣] بن البيضاويّ، الفقيه الشافعيّ، وكان القاضي أبو الطيّب الطبريّ جدّه لأمّه.

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/ ٢٢٩، البيان المغرب ١/ ٣٠٠، المؤنس ٨ (حوادث ٤٦٧ هـ.)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٦، تاريخ ابن خلدون ٦/ ٣٢٧.

(٢) المنتظم ٨/ ٣١٢ (١٦/ ١٩٠، ١٩١)، العبر ٣/ ٢٧٢، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص٣٦، مرآة الجنان ٣/ ٩٨، ٩٩، البداية والنهاية ١٢/ ١١٧.

(٣) من (أ) ومصادر ترجمته: المنتظم ٨/ ٣١٧ رقم ٣٨٩ (١٦/ ١٩٧ رقم ٣٤٨٣)، والبداية والنهاية ١٢/ ١١٩.

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن النَّقُّور[1] أبو الحسين البزّاز في رجب، وكان مكثراً من الحديث، ثقةً في الرواية؛ وأحمد بن عبد الملك بن عليّ أبو صالح المؤذّن[2] النَّيسابوريُّ، كان يعِظ ويؤذّن، وكان كثير الرواية، حافظاً، ومولده سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة؛ وعبد الرحمن بن محمّد بن إسحاق بن محمّد بن يحيى بن مَنْدَة[3] الأصبهانيُّ أبو القاسم بن أبي عبدالله الحافظ، له تصانيف كثيرة، منها: «تاريخ أصبهان»، وله طائفة ينتمون إليه في الإعتقاد من أهل أصبهان، يقال لهم العبد رحمانيّة.

وفي شوّال منها تُوُفّيت ابنة نظام المُلك[4] زوجة عميد الدولة بن جَهير، نُفساء بولدٍ مات من يومه، ودُفنا بدار الخلافة، ولم تجر بذلك عادة لأحد، فُعِل ذلك إكراماً لأبيها، وجلس الوزير فخر الدولة بن جَهير، وابنه عميد الدولة زوجها، للعزاء في دارٍ بباب العامّة ثلاثة أيام.

---

(١) انظر عن (ابن النقّور) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣١٢ ـ ٣١٤ رقم ٣١٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (أبي صالح المؤذّن) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠٨ ـ ٣١٢ رقم ٣١١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (ابن مندة) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٢٧ ـ ٣٣٣ رقم ٣٢٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن ابنة نظام الملك في: المنتظم ٣١٧/٨ رقم ٣٩٠ (١٩٧/١٦ رقم ٣٤٨٤).